

دور الترجمة في التفاعل الثقافي بين الجماعات الإنسانية: الإبداعية وتأسيس السلم الهوياتي^١

د. فؤاد بو علي
أستاذ باحث في اللغويات والترجمة
المملكة المغربية

مقدمة:

لا يختلف الدارسون في دور الترجمة في الثقافة والتواصل الحضاري بين الشعوب والجماعات الإنسانية. فهي البوابة التي تعبّر منها الذات إلى الآخر، أو يقتسم الآخر الذات. كما اعتبرت آلية معرفية لبناء الجسور بين الجماعات البشرية المختلفة ثقافياً واجتماعياً وقيميَا، ووسيلة أساسية في إشاعة المعرفة العلمية، ونقل التكنولوجيا وتوطينها، وتبادل المعرفة، وغيرها من العمليات الضروريَّة للاستفادة من علوم الآخر وتقنياته، حتى أمكنت ملاحظة التناسب بين التقدم الحضاري للأمة وكمية النصوص المترجمة. بل إن تأثير الترجمة في الثقافة المتلقية قد يبلغ شأواً عالياً لدرجة أنَّ بعض جوانبها قد يصبح صدىً للثقافة الأصلية^٢. لكن فعل الترجمة هو، في الآن نفسه، رهين سياقاته المتوجه له، لارتباطه بعلاقات القوة والسلطة الموظفة له، وبالرؤى الإيديولوجية المضمرة. وبإيجاز، فالذى

١ - حصل الباحث على قويمٍ من برامج منح الدراسات والأبحاث في مجال الترجمة بـهيئة الأدب والنشر والترجمة بوزارة الثقافة بالمملكة العربية السعودية لإنجاز هذه الدراسة البحثية في مجال الترجمة (رقم المنحة / للعام 2022).

٢ - بوعيطة، سعيد (2022)، دور الترجمة والتعريب في التفاعل الثقافي والحضاري، مجلة رواق ميسلون للدراسات، مؤسسة ميسلون للثقافة والترجمة والنشر، ع5، باريس، ص27

يحدد دور الترجمة هو زاوية التوظيف، إذ قد تكون للتعارف والتفاهم وتبادل المعرف والأفكار، وقد تكون أداة للهيمنة والإخضاع. فبالرغم من انطلاقها من ثنائية التعدد والاختلاف، وارتباطها بالغايات المثلثة للتواصل الإنساني، فإن "وظائفها" و"تأويليتها" تجعلها قابلة للاستعمال الإيديولوجي والسياسي.

وقد تحدث كثير من الباحثين المتممرين لدراسات "ما بعد الكولونيالية" عن توظيف المركزية الغربية للترجمة في إبراز الفروق القيمية والثقافية مع الآخر المختلف قيمياً وتقنياً. حيث استوعب المنظرون أن الترجمة كانت جزءاً لا يتجزأ من المشاريع الكولونيالية في شتى أنحاء العالم، فقد استعملت أداة للاحتلال والهيمنة على ثقافات أخرى، وهو ما منحها أهمية خاصة في هذا السياق. ووفق هذا التحليل يمكن القول بأن تاريخ الترجيمات أو دراسات الترجمة، هو تاريخ الدراسات الثقافية، وتأثير الترجمة على الثقافة، حيث لا يهتم ببنية اللغة، وأمانة المترجم، بقدر الاهتمام بالنظر إلى الترجمة على أنها ممارسة وتواصل بين الثقافات. ومن النتائج المباشرة لهذا التوظيف الثقافي للترجمة من طرف المركز الغربي كونها غدت أداة للتحكم في الخيارات المعرفية للمتكلمين. فانصب اهتمام المترجمين العرب، وغير العرب، على السياقات التي حددتها الثقافة الغربية دون القدرة على تجاوز هيمتها. لذلك، فالخروج من هذه الشرنقة، وتحرير القول المعرفي، والإبداع فيه، يتطلب مراعاة مقتضيات المجال التدابيري للذات³، لأن الأمر في الترجمة لا يتعلق بالألفاظ مفرغة من دلالاتها، بل برؤى للعالم والكون تحدد الاختيارات الثقافية والحياتية.

وجملة القول، فقد كانت الترجمة، وأداة بيد "السلطة" من أجل إعادة بناء المخيال الجماعي للمتكلمين وفق رؤية إيديولوجية كولونيالية. وانشغلت في إطار بناء فضاء الاستقبال الجديد بالتركيز على قضيaya الهوية. حيث ركزت في هذا الإطار على دراسة الهويات المحلية وتسلیط الضوء على عناصر التميز عن المشترك الجماعي من خلال تشجيع البحث في اللهجات والعاميات، واستثمار

3 - عبد الرحمن، طه (2013)، *الحوار أفقاً للتفكير*، ط1، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، ص 71

التراث المحلي من أجل إثبات التنوع الإقليمي والجهوي، ونقل النصوص المحلية إلى لغات القوة، بغية إدامة الهيمنة والتبعية للمركز الغربي. وقد كان من التأثير الطبيعية لهذا المجهود العلمي الضخم، الذي بدأ مع الاستعمار العسكري، وما زال مستمراً بعد نهايته، ظهور العديد من التوءات الهوياتية التي رسخت الاختلافات بين أبناء الوطن الواحد، وخلقت القاعدة النظرية والمعرفية للصراع حول الهوية الذي تعيشه الكثير من الشعوب والمجتمعات. لكن كما كانت الترجمة أداة هامة في ترسیخ الاحتياط الهوياتي، يمكنها أن تؤسس لمسار من السلم الهوياتي، من خلال استعادة أدوارها التواصلية المؤسسة، وفق رؤية إبداعية تحرر المعرفة الإنسانية من مركبة الغرب إلى المساهمة في الحضارة الإنسانية.

وسنحاول في هذا البحث أن نبرز الأدوار المسندة للترجمة بين خطابات الهيمنة الكولونيالية ومشاريع مقاومة المركزية الغربية، لنخلص إلى دورها في بناء السلم بين الهويات المتصارعة والتفاعل بين الثقافات الإنسانية المتعددة، من خلال الخروج من إطار التنميط الهوياتي إلى فضاء التعددية والتواصل الحضاري وتنسيب المعرفة الإنسانية. فكيف تساهم الترجمة في التفاعل بين الثقافات والهويات؟ وكيف تستطيع بناء السلم الهوياتي بين الأطياف المجتمعية المتنوعة؟ وهل الترجمة أداة ثقافية للهيمنة وترسيخ المركزية الغربية أم أداة للانفتاح والتفاعل الثقافي؟ وكيف يمكن للترجمة الإبداعية أن تكون نموذجاً للتعرف بين الثقافات والهويات؟

1 - الترجمة الإبداعية: نحو تحقيق الأمانة الثقافية

"حلمي أن أكون ساعي بريد جيد"⁴. هكذا يلخص جورج شتاينر، الذي انشغل بترجمة أهميات المصادر الأدبية إلى الإنجليزية، حلمه: أن يغدو ناقلاً جيداً. وفق هذه الرؤية تبدو الترجمة ممكناً، لأنها لا تتجاوز الوضع الطبيعي لحالة ما

4 - شتاينر، جورج (2021)، حاولت أن أكون ساعي بريد جيد، حوار، ترجمة الحسن مصباح، مركز معارف للدراسات والأبحاث، 18/05/2021

بعد بابل، الذي يتمثل في جمع المُتَفَرِّق، والوساطة بين المختلِفين. وذلك لا يكون إلا عبر اللغة، بيت الوجود والكونية على حد تعبير هيدجر⁵، والتي تحكم تصوراتنا المشتركة والمتحدة. لكن المترجم لم يحصر دوره في الوساطة ونقل النصوص، بل غدا مؤسسا وفاعلا في الواقع الذهني والاجتماعي للمتلقي.

في التعريف المداول حافظت الترجمة على معنى النقل الذي يُجسّر العلاقة بين لغتين (المصدر والهدف): "الترجمة هي استبدال رسالة، أو جزء منها، ملفوظة في لغة ما، برسالة مكافئة، ملفوظة في لغة أخرى"⁶. لكن الاختلاف بين ظلّار الدراسات الترجيحية، ليس في التعريف، وإنما في زاوية النظر والانحياز لنص دون آخر. ففي دفاعه الأخلاقي عن الأمانة للنص الأصل يرى أنطوان برمان أن الترجمة هي "ترجمة الحرف، وترجمة النص على أنه حرف"⁷. لأن غايتها هي الحفاظ على أصلية المعنى، وأي تغيير له يعد خيانة. وفي المقابل نجد الدارسين المهتمين أساسا بلغة النص الهدف، ينظرون إلى الترجمة على أنها التعبير بلغة أخرى (لغة الهدف) عما عبر عنه بلغة أولى (لغة المصدر) مع الاحتفاظ بالتكافؤات الدلالية والأسلوبية⁸. وقد حاول نايدا إبراز المستويين حين بني نظريته الشهيرة حول التكافؤ، انطلاقا من ترجمة النص الديني، من خلال التمييز بين: التكافؤ الشكلي الذي يركز على إعادة إنتاج رسالة النص الأصل في النص الهدف، والتكافؤ الديناميكي حيث يتم التركيز على قارئ النص الهدف والأثر المكافئ أو المعادل، الذي ينبغي أن تتركه الترجمة في قارئها⁹. وتوليد الأثر المكافئ، في الصنف الأخير، لا ينبع إلى ثقافة ولغة النص الأصل، كما هو الحال

5 - هيدجر، مارتن (2003)، كتابات أساسية، ج 2، ترجمة إسماعيل المصدق، ط 1، المجلس الأعلى للثقافة، ص 282-283

6 - Albir, Amparo Hurtado(1990), **La notion de fidélité en traduction;** Didier Eruditions, Paris ; pp 29-30

7 - BERMAN. Antoine (1999), la traduction et la lettre ou l'auberge du lointain. Seuil. Paris. P. 25

8 - روجر، بيل(2021)، الترجمة وعملياتها النظرية والتطبيق، ترجمة محمد حمدي، مكتبة العبيكان، الرياض، ص 11

9 - J. MUNDAY. The Routledge Companion to Translation Studies. London. 2009. P. 186

بالنسبة للتكافؤ الشكلي، وإنما يستجيب للاشتراطات الشكلية والمعنوية للغة وثقافة المتلقى، من خلال تكيف معنى الأصل وترابييه مع بنية الهدف. بمعنى أن مقصد الترجمة هنا هو المتلقى، وليس كاتب النص الذي يفقد دوره في هذا السياق. حيث "يعلم المترجم في سياق اجتماعي، وهو جزء من هذا السياق"¹⁰. ومن ثمة، فالترجمة ليست مجرد آلية تقنية، بل هي عملية متعددة المستويات والأبعاد التي تؤخذ بعين الاعتبار، تتضمن الاختلاف بين اللغات والثقافات، والغاية المضمرة من اختيار النصوص، وظروفها¹¹. فما دامت اللغة هي محضن القيم والسلوكيات والمعتقدات، وما دامت الخيارات اللغوية تحددها تصورات المتكلمين عن اللغة ووظائفها وأدوارها، فستكون الترجمة بين اللغات انعكاسا ضروريا لكافة هذه التعقيدات. لذا يجد المترجم دوما نفسه في مواجهة أسئلة الأمانة والخيانة في نقل المعنى: هل يجب الوفاء لمعنى الأصل كيما كانت علاقته بال المجال التداولي للغة الهدف أم ينبغي التصرف المعنوي والأسلوبي بما يتواافق مع المقتضيات الفكرية والثقافية، وحتى اللغوية الجديدة؟ وهل ينبغي تضمين الترجمة موقف المترجم أو الحرص على حياده المقدس؟.

تعددت أجوبية منظري الترجمة على هذه الإشكالات، خاصة حين تعلق الأمر بترجمة الكتاب المقدس، مع ما يثيره ذلك من إشكالات عقدية وفكيرية، وحيث الرهان هو الحفاظ على طبيعة النص الأصلي ومعانيه. "وقد أحس كثير من مترجمي الكتاب المقدس بضرورة احتواء عملية الترجمة على كلا الإجراءين التاليين وهما: إعادة الإنتاج الأمين لخصائص النص المصدر الصورية في موقف واحد، ومواءمتها للجمهور المستهدف"¹². وفي عملية النقل يتمتع المترجم بسلطنة معينة من خلال تملكه لناصية النص الأصلي، الذي يقدم للمتلقي نصا

10 - HATIM, B. et MASON, I. : *Translator as Communicator*. Londres et New York : Routledge, 1997. P : 121

11 - ألبير، أمبارو أورتادو(2007)، الترجمة ونظرياتها مدخل إلى علم الترجمة، ترجمة: علي إبراهيم المنوفي، ط1، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ص 35

12 - نورد، كريستيان (2015)، الترجمة بوصفها نشاطا هادفا : مداخل نظرية مشرحة، ترجمة وتقديم: أحمد علي، مراجعة: محمد عناني، ط1، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ص 26

جديداً بمفاهيم مغايرة، وفي سياق اجتماعي جديد. "نحن لا نترجم أي شيء في أي وقت"¹³. هنا يتحول موقع المترجم من الوساطة المحايدة إلى توجيه القراءة والتأثير في القارئ قيمياً ومعرفياً. إذ "تعد ترجمة القيم من لغة إلى أخرى مسألة إشكالية دوماً"¹⁴.

وقد كانت اللغة، ومعها الترجمة، خاضعة على الدوام لعلاقة القوة والهيمنة، التي تحكم في الممارسات السياسية والاجتماعية. حيث ينظر إلى لغات العالم الثالث، على أنها أضعف من اللغات الأوروبية، مما يبرر خصوصيتها للتغييرات قسرية أثناء عملية الترجمة، لأن المجتمعات الغربية، حسب طلال أسد، أقدر على التأثير الاقتصادي والسياسي في العالم، إضافة إلى أن اللغات الغربية تنتج معرفة يرغب الناس في الحصول عليها أكثر مما تنتجه لغات العالم الثالث. "ومع ذلك فإن الترجمة (بل وكل استخدام للغة فيما يطلق عليه فتحنستاين *ألعاب اللغة*) ليست عملية معرفية خالصة يمكن فيها استبدال كلمات دالة بأخرى، بل هي مجموعة مركبة من التعبيرات التي تشير في سياقات معينة أصواتاً وصوراً ومشاعر معينة في عملية النقل كما تساعد على إدراك الأفعال والتوجهات"¹⁵. لذا نجد أنه يدافع عن النقل الذي يحترم الخصوصيات الثقافية والمعرفية للمتكلمي والمتتلقين، أو ما يسميه بالتقليد الخطابي الذي يتشكل "من خطابات تروم هداية الممارسين وإرشادهم إلى الصورة الصحيحة التي ينبغي أن تؤدي بها ممارسة ما، وتروم تعليمهم غاية هذه الممارسة وفكرتها. هذه الممارسات لها تاريخ، تحديداً، لأنها راسخة ومكررة"¹⁶. ويمثل لنا بترجمة ديفيد

13 - Nadine Ly (1989) : **Introduction de: LA TRADUCTION** (Actes du XXIII^e Congrès de la Société des Hispanistes français Caen, 13-15 mars 1987) Published by CENTRE DE RECHERCHES EN LANGUES, p. 12

14 - أسد، طلال(2021)، ترجمات علمانية: الأمة – الدولة والذات الحديثة والعقل، ترجمة: حجاج أبو جبر، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، ص 19

15 - نفسه، ص 19

16 - Asad, Talal ; **Is Critique Secular? Blasphemy, Injury, and Free Speech** ; Distributed by University of California Press Berkeley, Los Angeles, London ; 2009 ; p. 14.

فري للملحمة البابلية جلجامش حيث قدم عملاً فنياً استطاع من خلاله نقل المتنقلي إلى أجواء الإبداع الجمالي للأصل. "فلم تكن غاية المترجم إعادة استحضار التجربة الأصلية لجمهور الملحمات في بابل، بل إعادة إنتاج طابعها الشعائري، وقوتها المركبة غير القابلة للاختزال، من أجل القارئ الإنجليزي المعاصر، ومن ثم الإسهام في فهم تقليد خطابي رسمي، والتقرار في قالب شعرى لأبيات مترجمة تصف لحظات الانتصار والانكسار في الملhmaة وتعرض خلاصتها"¹⁷. وال فكرة الثاوية وراء دفاع أسد عن احترام التقليد الخطابي في فعل المترجم، هي البحث عن الأمانة الثقافية قبل اللغوية، دون تبجيل للذات أو استعلاء على الآخر. فالنقل من الآخر يستلزم إخضاع النص لمصفاة الذات وقيمها حتى تتحقق الإبداعية، وتحافظ الترجمة على مقومات التقليد الخطابي.

في السياق نفسه يندرج دفاع طه عبد الرحمن عن الإبداعية في الترجمة. فرغبة في تحرير القول الفلسفى، ومعه الفكر العربى، من سطوة الآخر الغربى وتقليله، وبما أن مقدمة الفكر العربى كانت تاريخياً واقعياً هي الترجمة، ما دامت النهضة مشروطة بالنقل عن الغير، اعتبر تجديد النظر إليها وضبط كيفيتها مدخلاً للتحرر والتقدم¹⁸. فإذا كانت الفلسفة الغربية قد انطلقت من غير نقول معلومة والترجمة تابعة لها، فإن الترجمة كانت أصلاً في المجال التداولي العربى والفلسفة تابعة، حتى أمكننا القول بأن، قياساً واعتراضاً على لازمة الجابري "المترجم هو صانع عالم العربي"¹⁹. وبناء عليه كان الفكر الغربى وليداً طبيعياً لواقعه وقيمه، في حين نشأ الفكر العربى، خاصة الفلسفى منه، مشروطاً بما نُقل عن الآخر "فلم يقترن شيء في الفكر الإسلامي العربي بالترجمة اقتران الفلسفة بها حتى لا فلسفة معترف بها بيننا بغير الترجمة"²⁰. لذا ينبغي تحرير الترجمة من

17 - أسد (2021)، ص 21

18 - طه (1999)، ص 12

19 - طه عبد الرحمن، 1995، ص 101. وكأننا بطبعه عبد الرحمن يناقض فكرة الجابري بأن "الأعرابي صانع عالم العربي": الجابري، محمد عابد، تكوين العقل العربي، ط 16، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ص 75

20 - طه عبد الرحمن، 1999، ص 19

ضيق النقل وتجديده ممارستها من خلال الوفاء بمقتضيات المجال التداولي أو ما يمكن تسميته بالأمانة الثقافية. وهذا لا يتم بدون اعتماد الإبداعية صفة ملازمة للترجمة²¹. ويتميز هذا الصنف بالتصريف في اللفظ والمضمون، لأن غاية المترجم إزالة غموض النص أمام المتلقى، ثم إقداره على التفاعل مع المنقول بما يزيد في توسيع آفاقه ويزوده بأسباب الاستقلال في فكره. وهذا لا يتم إلا عبر احترام المقتضيات التداو利ة للمجال الثقافي المنقول إليه، لغةً وعقيدة، وتوطين المنقول عنه في المجال المنقول إليه، حتى لو اقتضى الأمر إخراج المنقول عن صفاته. وتتيح هذه الطريقة استثمار المنقول وتوظيفه من أجل خلق إبداع فلسفي وفكري في المجال المنقول إليه. "لأن العبرة هنا ليست بالحكاية عن الغير، وإنما بتمكين الذات من الممارسة الفكرية"²². ومن هنا لا يختلف المترجم عن المؤلف، لأنه يبني قوله جديداً ونصاً آخر، مع احترام تام لمضامين الأصل. مما يجعل الترجمة هي السبيل الوحيد إلى ممارسة فلسفة حية وفتح مجالات الإبداع. فالترجمة مدخل للتغيير والتحرير، وليس غاية في حد ذاتها. من هنا جاءت تسمية "الترجمة الإبداعية" أو "التأصيلية" التي هي جزء من محاولة لتحرير القول الفلسفية برمته، ومعه الفكر الإسلامي، من رق الاتباع إلى فسحة الإبداع²³. لذا يميزها طه عن: الترجمة التحصيلية التي تهتم بنقل المضامين المعرفية عن النص المنقول عنه دون مراعاة للمعارات المشتركة في المجال التداولي المنقول إليه²⁴، والترجمة التوصيلية التي تمارس التهويل المعرفي حين تعتمد الغرابة، وتتمسك بحرفية المضمون دون حرفة اللفظ²⁵. وفي الحالتين الأخيرتين فالغائب هو المتلقى وسياقه الثقافي والتداولي، لذا فالأخ الأولى الاستغناء عنهما لصالح النوع الأول.

21 - طه عبد الرحمن، 1999، ص 19. وانظر: فؤاد بو علي (2013)، الترجمة عند طه عبد الرحمن: محاولة في التوصيف، في كتاب: فكر الفيلسوف المغربي طه عبد الرحمن (كتاب جماعي) منشورات مطبعة المعارف البيضاء.

22 - نفسه، ص 362

23 - بلعفروز، عبد الرزاق (2009)، تحولات الفكر الفلسفى المعاصر أسئلة المفهوم والمعنى والتواصل، الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف، ص 4

24 - طه عبد الرحمن، 1995، ص 404

25 - نفسه، ص 336

والجدير بالذكر أن مفهوم الترجمة الإبداعية، كما صاغه طه عبد الرحمن، يختلف عما يصطلح عليه بالترجمة المُبِدعة الواردة عند رومان جاكوبسون، والتي تتم بين الأشكال الإبداعية المختلفة، من موسيقى ورقص وسينما ورسم، وتختص ترجمة الشعر بالأساس²⁶. لكنه لا يختلف كثيراً عن التصور الذي قدمه طلال أسد في سبيل إعادة النظر أنثروبولوجيا في مفهوم العلمانية لمارسات الشعوب المختلفة وقيمها، أي احترام مقتضيات المجال التداولي في صياغة النقل. وفي الحالتين معاً، فالترجمة لا ينبغي أن تظل مجرد نقل ميكانيكي للمفاهيم والمعاني بل ينبغي إخضاعها لنوع من التحويل والتأويل لتتناسب للمجال التداولي مما يمنحك الناقل موجبات الاستقلال والإبداع. والمدخل الرئيس في هذا المجال هو رفع التقديس عن الأصل، ومحاولة إدماجه في سياق النص الهدف، حتى يستفيد منه المتلقى ويعينه على النهوض الحضاري والمعنوي، الهدف الرئيس من الترجمة. وهنا يتغير مفهوم الأمانة من اللغة إلى الثقافة، لأن تقدير النص الأصل يجب الاعتراف بالأبعاد الإيديولوجية التي لازمت عملية الترجمة منذ بدايتها. فانطلاقها من الأساس الديني مثلاً في قصة "برج بابل" في التوراة وترجمة الإنجيل جعلها ممارسة خطابية مؤدلجة أو "فكرانية" وغير عقلانية حسب معجم طه عبد الرحمن. ومن النص المقدس أخذت مبادئ الأدلجة المتمثلة في: خفاء المعنى، والبعد في التفاهم، والتزام الدعوة، وإيجاب الوساطة²⁷. لذا كان الارتباط الوجودي بالفضاء الديني محدداً لفعل الترجمة ومنهجيتها. لكن الواقع أن أدلة الترجمة لم تتضح صورتها إلا في كنف الكولونيالية وأدواتها الثقافية والسياسية التي وظفتها في صناعة الهويات البديلة. فكيف انتقلت الترجمة من دورها الآلي الإجرائي إلى أن تغدو وسيلة ثقافية للإخضاع والهيمنة؟

2 - الترجمة: من نقل النصوص إلى بناء الهويات

1.2 - الترجمة بين الإيديولوجيا والحياد: لم يكن طه عبد الرحمن فريداً في موقفه الراهن بين الترجمة والإيديولوجيا، فقد دأبت الدراسات الثقافية منذ

26 - Roman Jakobson(2000); **On Linguistic Aspects of Translation** ; havard studies in comparative 2 ; literature ; vol 23 ; no 1 ;P 232-233

27 - طه عبد الرحمن، 1995، ص 65

نשائتها على اعتبار أن "الترجمة خطاب سياسي بالمعنى الواسع للكلمة، وأنها تستخدم أداة أو منظورا للدراسة قضايا تاريخية وسياسية وأيديولوجية متعلقة بالهوية، لا سيما في سياق ما بعد الحقبة الاستعمارية"²⁸. فاختيارات المترجم ليست محايضة، بل تنطلق من الغايات المحددة لفعل النقل، والأبعاد الثقافية المؤطرة لوجوده، والتي قد يوظفها عن قصد أو بدونه. فالقيود التي يرسمها النص المصدر أمام المترجم تتلاشى عندما يروم التعبير عن رسالة جديدة، وغاية إيديولوجية يكون مجالها هو النص الهدف. فهو لا يحصر عمله في البحث عن المقابلات اللفظية والمعنوية، بل يؤسسه على "استراتيجية ترجمة" معينة، تتضمن معايير اختيار النص المترجم، وتوظيف النص الهدف، وفق مصالح وأهداف الأفراد أو المؤسسات، حسب كريستين شافير²⁹. فالترجمة في هذه الحالة ليست مجرد لعب بالكلمات والمعاني التي يمكن نقلها من لغة إلى أخرى، بل هي علاقة بين ثقافتين ومنظومتين قيميتين. لذلك لا يتم اختزال الترجمة في سؤال تقني ولغوي بسيط، لأنها شكل من أشكال إعادة الكتابة، أو ما يطلق عليه "التصرف الترجمي"³⁰، مما يعيد النظر في مفهوم الأمانة والخيانة. وكما يصبح لوفيفر: "إذا كان الجدل بين مراعاة المسائل اللغوية والأيديولوجية في الترجمة، فالغلبة في أكثر الأحيان لا تكون إلا للأيديولوجيا"³¹. وتؤخذ الإيديولوجيا في هذا السياق باعتبارها آلية اجتماعية "سلطوية" لتوجيه كل الممارسات الخطابية، أو هي مجموعة من المفاهيم التي تتجهها الجماعة استجابة لصالحها على أساس نظام من القيم يحدد السلوكيات والمعتقدات، واللغة محورها. وكل ممارسة خطابية سيميائية تسمح ببناء الواقع والتأثير فيه هي عملية

28 - دانييل جيل 2009، الترجمة، فهمها وتعلمها، ترجمة محمد أحمد طجو، جامعة الملك سعود، ص 295

29 - Stefano Arduini(2016) ;**TRADUCCIÓN E IDEOLOGÍA; ACTIO NOVA: REVISTA DE TEORÍA DE LA LITERATURA Y LITERATURA COMPARADA;** Università degli Studi di Urbino, Italia; p 22

30 - رحيمي، محمد(2021)، الترجمة والتصرف (دراسة في أيديولوجية الترجمة)، مجلة الآداب واللغات، المجلد 9، العدد 1، ص 133

31 - Lefevere; Andre,(1992),**Translation, Rewriting, and the Manipulation of Literary Fame**, London; Routledge; P30

أيديولوجية. "فحينما توجد علامة، توجد الأيديولوجيا أيضًا. وكل ما هو أيديولوجي له قيمة سيميائية"³². من هنا حضرت الإيديولوجيا في الترجمة. فالنص المترجم ليس نسخة من الأصل، بل هو نص جديد، برؤيه جديدة، وتأويل جديد، لثقافتي الأصل والهدف. ومن ثمة، لا يمكننا الحكم على الأخطاء الترجمية، أو محااسبة المתרגمين على عدم الوفاء للنص الأصلي، مادامت الإمكانيات الثقافية التي تتيحها إعادة الكتابة تجعل من النص المترجم نصا جديداً أو ثالثاً، أو على حد تعبير إيكو: "أن نقول الشيء نفسه تقريباً"³³. ويُستشهد في هذا السياق على النصوص بترجمة الكاتب البريطاني إدوارد فيتسجيرالد لرباعيات الخيام التي نُشرت خلال القرن التاسع عشر، حيث اطلق المترجم من قناعته بسمو الثقافة الهدف (الإنجليزية) على الثقافة الأصل (الفارسية)، لكن تصرفه في النص، وتغيير ملامحه، لم يمنع الاستحسان الجماعي للنص الجديد حسب لوفيفر³⁴. وبناء على هذه الفكرة الإيديولوجية يرى المترجم "نفسه حِرَّاً للدُّسْ أنواع التدخل والتصرف في النصخيامي، والتبيجة — مع احتساب البعض هذا الأمر خيانة — كانت ناجحة جداً، إذ نشاهد اليوم أن رباعيات الخيام الإنكليزية قد أصبحت من أشهر النصوص في بريطانيا بعد النص المقدس وأشعار شكسبير"³⁵. فالمترجم لا يترجم من فراغ، أو من رغبة ذاتية، بل انطلاقاً من رؤى عقدية وفكرية رغبة في توجيه المتلقى، ويصدق الأمر حتى على النصوص القديمة³⁶. لكن ما الذي يجعل من نص منقول إيديولوجيا؟ إن كان الوصف صحيحًا بالنسبة للإبداع الأدبي والفكري فهل يمكن اعتبار النص المترجم فعلاً إيديولوجيا؟

32 - Voloshinov, Valentin N. (1976): **Marxismo e filosofia del linguaggio**, Bari, Dedalo; p 59

33 - أوميرتو إيكو(2012)، أن نقول الشيء نفسه تقريباً، ترجمة أحمد الصمعي، ط1، المنظمة العربية للترجمة، بيروت

34 - Lefevere; (1992), P8

35 - رحيمي (2021)، ص134

36 - Fawcett, Peter (1998): **Ideology and Translation**, en Mona Baker (ed.): Routledge Encyclopedia of Translation Studies, London - New York, Routledge; P107

"لقد أخذت حرتي في تغيير ما لم أعتبره مناسباً"³⁷. بهذه العبارة برو أنطوان دي لا موت La motte (تـ 1693) تصرفه في نص الإلياذة حين نقله من اليونانية، بالرغم من عدم معرفته بها، مستبعداً من نصه كل الأجزاء الدموية والقاسية التي قد تسيء لمشاعر المتلقى الفرنسي. فإذا كان منظرو الترجمة يصرّون على "الأهلية الترجمية" التي تفرض المعرفة باللغتين، وبأنماط النصوص، وبالآليات الاستنتاج لفك شفرات النصوص³⁸، فإن الأمثلة التي تراءى عبر التاريخ ثبت أن الترجمة لا تنطلق من قواعد اللغة ولكن من قواعد الثقافة، مما ينقل المترجم من دور الناقل المحايد إلى الكاتب المبدع، الذي يعيد كتابة نص جديد. فأيديولوجيا الترجمة لا تكمن في النص المترجم فقط، ولكن أيضاً في الصوت، وموقع المترجم، وكذلك أهمية النص بالنسبة للمتكلمين، وطريقة الانتقاء، ينضاف إلى ذلك عوامل الإنتاج والاستقبال والرعاية، حسب لوفيفر، التي تمارس التحرير أو التحول حسب وجهة نظر حراس الشعرية³⁹. وهو ما فتح الباب أمام الترجيميات لمسائلة المفهوم التقليدي المتعلق بشفافية الترجمة وبراءتها، بعد الاقتناع بأن النقل مسألة سياسية ممثلة في توظيفها الكولونيالي.

2.2 - الترجمة بين التنميط والتعددية: ارتبطت الدراسات ما بعد الكولونيالية منذ نشأتها بالبحث عن سبل مواجهة الهيمنة الغربية ومركزيتها، وفك الارتباط مع الحالة الاستعمارية، التي مازالت مستمرة بأسكال أخرى

37 - Arduini (2016)P23

يمكننا القول في هذا السياق بأن هناك العديد من المعايير والقواعد الضمنية والصرحية التي تبني عليها الترجمات أو ما يطلق عليه أنطوان بيرمان بتشوهات الترجمة التي عددها في ثلاث عشرة نزعة تشوهية تطغى على العملية الترجمية، بل هي جزء من ذات المترجم وعمله (بيرمان، أنطوان 2010 : الترجمة والحرف أو مقام البعد، ترجمة وتقديم د. عز الدين الخطابي، مراجعة د. جورج كتورة، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ص 49).

38 - أميبارو أورتادو ألبير، 2007، ص 500

39 - Lefevere, (1985). *Why Waste Our Time on Rewrites? The Trouble with Interpretation and the Role of Rewriting in an Alternative Paradigm, The Manipulation of Literature, Studies in Literary Translation*, London, Croom Helm, pp. 225

وصور متنوعة تجمع بين الثقافي والاقتصادي والسياسي، وانشغلت بالعديد من القضايا التي تتعلق بالتحرر ومراجعة التمثيلات حول التاريخ والثقافة، التي عمل الاستعمار على ترسيختها باعتبارها حقائق كليلة وكونية، ومواجهة المركزية الأوروبية⁴⁰. لذا عمل هذا الصنف من الدراسات على مواجهة هيمنة "الميثولوجيا البيضاء" بتعبير دريدا⁴¹، على الفكر الإنساني، بحثاً عن قيم جديدة تبرز الذات الحضارية للشعوب المختلفة وترفض التنميط الاستعماري، وتنتصر للتعددية الثقافية والسياسية اعتناداً على العديد من الفلسفات والنظريات النقدية، خاصة المنددرجة فيما بعد الحداثة الرافضة للسرديات الكبرى⁴². لذا عملت على دراسة الخطابات الغربية باعتبارها خطابات غائية تحوي في طياتها توجهات استعمارية مازالت مستمرة في الزمان، وإن كان وجودها المكاني العسكري قد انحصر بعد الاستقلالات السياسية. وأهم محاور هذه الخطابات مواجهة الاعتقاد بتفوق الغرب خاصة بعد الإشكالات الحضارية التي تسبب فيها. "وتكمّن المفارقة الواضحة في أنه حتى قبيل نهاية الحرب العالمية الثانية، إن لم يكن بعد ذلك، كان العالم يحتفي بالحضارة الأوروبية أو المسيحية باعتبارها صانعة العالم الحديث، ولكنها الآن تواجه مستقبلاً مشؤوماً وصرنا نسمع الناس يتحدثون عن التدمير الذاتي للإنسانية"⁴³.

وإذا كان الاستعمار بالتعريف السياسي هو قهر الشعوب، ونهب خيراتها، وفرض السيادة الأجنبية عليها، وحرمانها من ممارسة حريتها وتدميرها⁴⁴، فقد

40 - إدوارد سعيد 2002، الاستشراق، ترجمة محمد عناني، تذليل طبعة 1995، دار رؤية، القاهرة، ص. 5.

41 - جاك دريدا، 2007، أحادية الآخر اللغوية، ترجمة: عمر مهيل، الدار العربية للعلوم ناشرون ومتضورات الاختلاف، ص 55.

42 - ديفيد كارتر، 2010، النظرية الأدبية، ترجمة: د. باسل المسالمة، ط 1، دار التكوين، دمشق، سورية، ص: 125.

43 - طلال أسد، 2021، ص 24.

44 - محمد احمد الطوير 1997، تاريخ حركات التحرر من الاستعمار في العالم خلال العصر الحديث، منشورات تأثيث، الرباط، ص 13.

شكلت الترجمة وسيلة رئيسة من وسائل الإخضاع والهيمنة. بل بدت، في أكثر الأوصاف راديكالية، بأنها نوع من الافتراض، حيث يمتص المترجم دم النص الأصلي لتنقية النص المهدى، أو "أكل لحوم البشر" بتعبير سانتوس سوسا⁴⁵. حيث وظفتها القوى الكولونيالية، إبان الاحتلال وبعده، ليس للتواصل مع السكان المحليين فقط، ولكن لترسيخ التفوق العرقي والثقافي، والسيطرة على الأبدان والعقول. "فالأمر لم يقتصر على احتياج الفاتحين الإمبراطوريين الأكيد إلى إيجاد طريقة فعالة للتواصل مع رعاياهم، بل كان عليهم أيضاً أن يطورووا طرائق جديدة في إخضاعهم وتحويلهم إلى رعايا طبيعين أو متعاونين"⁴⁶. فقد كشفت الباحثة الهندية تيجاسويني نيرانجانا أن الإدارة الاستعمارية الإنجليزية، أثناء احتلالها للهند، ووفق منطق انتقائي، استخدمت الترجمة في ترسيخ احتلالها وإضفاء الطابع المثالي على ما تمارسه من عنف، من خلال ترجمة القوانين الهندية إلى الإنجليزية، وتقديم صورة وهمية عن المحتل، باعتباره مجرد أداة إدارية بيد السكان الأصليين⁴⁷. فالترجمة التي عرفت سابقاً بأنها وسيلة التواصل والتعارف بين الثقافات، غدت في السياق الكوليونيالي تلاعباً بالنص الأصلي من قبل مستقبليه، أو العكس. بل غداً وجود النص رهيناً بترجمته، التي تعيد تقديمها للمتلقى المستعمَر. وهنا تدفع الكوليونيالية بأن النص الأصلي يعتمد على الترجمة من أجل بقائه؛ فهي التي تحدد معناه وصفاته، أي أن معنى النص موجود في ترجمته، التي تعيد كتابته وبناء معناه. من هنا انتهت مهمة المؤلف وسلطته، وتربع المترجم مكانه. "ففي الأعمال المهمة التي لم يحدد مترجمها لحظة إنتاجها،

45 - Boaventura; 2011, p. 41.

46 - دوجلاس روبيسون، 2006، الترجمة والإمبراطورية، ترجمة: ثائر ديب، ط1، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ص 25

47 - نفسه، ص 149

فإن الترجمة تشكل صفة بقائها"⁴⁸. لذا اعتبرت الترجمة حياةً جديدةً للأصل، وربما أهم منه، بالرغم من الإنكار القانوني لموقعها⁴⁹.

وكما وظفت الكولونيالية الترجمة من أجل الهيمنة وفرض التمثل الغربي للتاريخ والوجود، فألغت الاختلاف، واعتمدت تنميـط الصور والمعتقدات الغربية ونقلها للثقافـات الأخرى، فقد وظفتها دراسـات ما بعد الكولونيالية كاستراتيجية للمقاومة، حيث جعلـت من الدفاع عن التعددية نقطة ارتـكاز في مشروعـها الذي تبلور في أنحاء متعددة من العالم الثالث، واستقلالية المترجم جوهرـها⁵⁰. إذ تفترض الترجمـة، في صورـتها الجديدة، تجاوزـ الاختلاف بين النص الأصل والنـص الـهدف، لأنـ الأصل هو المـانـح، ولكـنه مـستـقبلـ أيـضاـ، لأنـ الآخر ما زـال مستـمراـ في الـوـجـود داخـلـ الذـاتـ. والـترـجمـةـ التيـ كانتـ آلـيـةـ لـلـإـخـضـاعـ، غـدتـ آلـةـ لـلـمـقاـومـةـ: "فيـ يـدـ مـتـرـجمـ مـاهـرـ، يـمـكـنـ لـلـتـرـجمـةـ أـنـ تـقـدـمـ هـذـاـ النـوـعـ مـنـ السـرـديـةـ المـضـادـةـ الـذـيـ يـفـكـكـ /ـ يـنـقـضـ أـنـظـمـةـ الـمـعـنـىـ الـاسـتـعـمـارـيـةـ. ماـ يـمـكـنـ لـمـثـلـ هـذـهـ التـرـجمـةـ أـنـ تـفـعـلـهـ هوـ اـكـتـشـافـ أـنـ مـارـسـاتـ يـوـمـيـةـ غـيرـ مـلـحوـظـةـ، وـمـقـبـوـلـةـ ظـاهـرـيـاـ كـمـاـ هـيـ، مـتـورـطـةـ فـيـ الـمـشـرـوعـ الـاسـتـعـمـارـيـ"⁵¹. فـيـ مجـتمـعـ تـغلـبـ عـلـيـهـ

48 - BENJAMIN, Walter. 1984 /1923; *La tasca del traductor*, en Art i Literatura, Antoni Pous (tr.), Vic, Eumo y Edipoies; p: 122

49 - Françoise Benhamou, Joëlle Farchy 2014. Les fondements théoriques du droit d'auteur DANS : Droit d'auteur et copyright ; Collection Repères ; Éditeur La Découverte

في الصياغـاتـ القـانـونـيـةـ لـلـمـلـكـيـةـ الـفـكـرـيـةـ يـقـاسـ الـعـمـلـ الإـبـدـاعـيـ عـلـىـ الـأـعـمـالـ المـادـيـةـ الـأـخـرـيـ، فـيـكـونـ المؤـلـفـ هوـ المـالـكـ الطـبـيعـيـ وـالـوحـيدـ لـعـمـلـهـ. وـفـيـ حـالـةـ التـرـجمـةـ يـشـتـرـطـ فـيـ النـصـ الـجـدـيدـ إـضـافـةـ إـلـىـ حـصـولـهـ عـلـىـ إـذـنـ مـنـ صـاحـبـ الـأـصـلـ، أـنـ يـكـونـ مـاـمـلـاـ لـهـ حـتـىـ يـسـتـحقـ الـوـصـفـ بـكـونـهـ مـتـرـجـماـ (ـيـنـظـرـ: تـقـرـيرـ المـقرـرـةـ الـخـاصـةـ فـيـ مـجـالـ الـحـقـوقـ الـقـانـونـيـةـ، فـرـيـدةـ شـهـيدـ الدـوـرـةـ الثـامـنـةـ وـالـعـشـرـونـ مجلـسـ حـقـوقـ إـلـيـانـ البـنـدـ 3ـ مـنـ جـوـدـلـ الـأـعـمـالـ تعـزـيزـ وـحـمـاـيـةـ جـمـيعـ حـقـوقـ إـلـيـانـ، الـمـدـنـيـةـ وـالـسـيـاسـيـةـ وـالـاقـتصـادـيـةـ وـالـاجـتمـاعـيـةـ وـالـقـانـونـيـةـ، بـهـاـ فـيـ ذـلـكـ الـحـقـ فـيـ التـنـمـيـةـ 24ـ دـيـسـمـبرـ 2014ـ)

50 - BASSNETT, Susan. 1993. Comparative Literature: A Critical Introduction, Oxford y Cambridge, Blackwell, 1993 ;p: 152

51 - Joshua M. Price ; Whose America? Decolonial Translation by Frederick Douglass and Caetano Veloso ; Territoires, histoires, mémoire; La traduction littéraire et le Canada; Volume 28, numéro 1-2, 2015, p. 65-89

الأمية تكون للكاتب / المترجم سلطة اللغة، لأن الجميع بحاجة إلى خدماته، في التواصل الداخلي، أو مع الآخر. ومع الانقلاب الذي أحده الاستعمار في المفهوم والاستعمرات غدا الجهل بلغة المستعمر وسيلة من وسائل الإخضاع، وغدت الترجمة هي أداة تنزيل رغبات السلطة وميولاتها. وانشغلت الإمبريالية، زيادة على بناء الواقع السياسي والعسكري، ببناء واقع نصي موجّه من خلال تسمية أراضٍ جديدة، وإحياء تواريخ معينة، وتسلیط الضوء على هويات دون غيرها، وتحويلها إلى نوع استطرادي لممارسة السلطة. وقد بقي تأثير هذا الخطاب حتى بعد زوال الاحتلال السياسي حيث أعادت النخب المدنية إنتاجه⁵².

لقد استطاع الاستعمار توظيف الترجمة في بناء مخيال جماعي وكوفي يمنحه السيادة الدائمة على الواقع والذاكرة، لذا رام خطاب المقاومة تفكك الخطاب الاستعماري ومن خلاله الأداة الترجمية، وتقديم روؤية مغايرة للترجمة كأدلة للتواصل والتفاهم والتعددية الثقافية والهوبياتية، وذلك من خلال السعي بواسطتها إلى التقليل، إلى أدنى حد ممكن، من العقبات التي تعترض التفاهم بين شعوب الجنوب التي تكافح النمذجة الكولونيالية⁵³. لذا، ارتبطت الترجمة في تاريخ الصراع ضد الاستعمار بأدوار متعددة ومتنوعة: فمن جهة كانت في يد المستعمر أداة للهيمنة والإخضاع، ومن جهة ثانية كانت وسيلة من وسائل المقاومة وفتح مسارات جديدة للتواصل الثقافي.

3.2 الترجمة وصناعة الهويات: الترجمة في تاريخ الاستعمار قضية هوبياتية

بالأساس، وفي سبيل ذلك اتخذت مسارين: (أ) — مسار التأسيس الهوياتي، وفي مرحلة لاحقة (ب) — مسار بناء هويات بديلة من خلال تشجيع الارتباط بالمركز الاستعماري من أجل الترقى، من خلال ترجمة الأدب الأوروبي إلى اللغات المحلية. فقد وظفت القوى الكولونيالية، إبان الاحتلال وبعده، الترجمة

52 - أنظر: فؤاد بوعلي(2015)، الإبداعات المغربية باللغات الأجنبية بين سلطة اللغة وسلطة الهوية: قراءة تراتبية، مجلة إسلامية المعرفة، المعهد العالمي للفكر الإسلامي مجلد 20، عدد 80

53 - يحيى رمضان، 2020، الخيار النقض كولونيالي من فك الارتباط إلى إعادة الوجود، ط1، شمس برينت، سلا المغرب، ص14

لترسيخ التفوق العرقي والثقافي، وصناعة مخيال هوياتي جديد. ففي التجربة البريطانية تعاملت الإدارة الكولونيالية بمنطق انتقائي مع مصادر المعرفة الهندية، حيث اقتصرت الترجمة والنقل إلى الإنجليزية على نصوص الأدب السنسكريتي المتممية للقرن الثامن عشر، في حين تجاهلت أمهات العلوم الهندية، حتى لا تبرز قوة حضارة المستعمر وأصالتها⁵⁴. وقد "وفرت الترجمات الأوروبية المشوهة للنصوص الهندية المعدة للجماهير الغربية جملة كبيرة من الصور الاستشرافية للنخبة الهندية المثقفة، والتي تكتشف ماضيها من خلال هذه الترجمات التي تسعى إلى تصوير ووصف الهندي كآخر الغريب بالنسبة للبريطاني الراقي المتحضر. إن الترجمة كانت اليد اليمنى للسلطات الكولونيالية فقد كانت ضرورية في عمل الإدارة وتحقيق أهداف الحكم الكولونيالي"⁵⁵. وقد لاحظت نيرانجانا أنه في الفترة الاستعمارية المبكرة، القرن الثامن عشر، كان هناك قدر من الرومانسية التي تقدمها الترجمات عن الشرق، لكن في عشرينيات القرن التاسع عشر، ومع بروز شركة الهند الشرقية التي تحكمت في الاقتصاد الهندي، تغيرت صورة الهند، لتصبح مرتع البرابرة والهمج⁵⁶. فحسب الحاجة تتحدد وظيفة الترجمة الكولونيالية. وتحفظ الذاكرة القرية نماذج لحضور الترجمة في محاولة الإخضاع الهوياتي. حيث "كانت الترجمة جزءاً من مشروع التبادل الثقافي معادلة للتحويل والاستيعاب، ولا تزال، ليس لتحويل الشعوب الأصلية إلى المسيحية،

54 - ذهب بعض الدارسين إلى أن اكتشاف اللغة السنسكريتية ومعه فصيلة اللغات الهندأوروبية، الذي أدى إلى التطورات اللغوية اللاحقة، بظهور اللغويات المقارنة والتاريخية المهددة للسانيات المعاصرة مع سوسير، ليست إلا كشفاً كولونياليا يراد منه تأصيل المشترك الجامع بين الثقافتين الهندية والغربية لتبرير الوجود الإنجليزي في الهند (أنظر: الأوراغي، محمد 2001، الوسائل اللغوية 2 للسانيات النسبية والأنحاء النمطية، ط1، دار الأمان، الرباط، ص 462).

55 - محمد ياسين بلقندوز ،2015، النظرية ما بعد الكولونيالية في الأدب وعلاقتها بالترجمة النظرية ما بعد الكولونيالية، دراسة تحليلية ونقدية لكتاب الترجمة والإمبراطورية، مذكرة لنيل شهادة ماجستير في الترجمة، معهد الترجمة، جامعة الجزائر 2 أبو القاسم سعد الله، ص 56

56 - روبيسون، 2006، ص. 14. أنظر: حوارات في الترجمة : حوار مع تيجاسويني نيرانجانا، من الإنكليزية إلى الكانادا ومن الكانادا إلى الإنكليزية : طريق تيجاسويني نيرانجانا المصوّر إلى الترجمة، حاورتها: تريشا غوبتا، 17 مارس 2018، ترجمة أ.د. كاظم خلف 22-03-2019 العلي

كما كان عليه الأمر في البدايات، ولكن لتحويل سكان الأرض جيّعا واستيعابهم، ضمن منطق النيوليبرالية الوحشى الذي لا يترك مجالاً لأى بديل آخر مختلف⁵⁷. فقد رصد فاينست رفائيل دور الترجمة في نقل المجتمعات الأصلية في الفلبين إبان الاحتلال الإسباني، حيث سمح الاختلاف اللغوي بين المستعمر والمستعمّر، وعسر التواصل المباشر والتفاهم السريع، بتقديم تفسيرات خاصة للدين المسيحي وللنوصوص الدينية وفق مقاصد الغازي. فالمصطلحات التي لم يجد لها الإسبان مقابلات في التاغالوغية، اللغة الأصلية للسكان، نقلت حرفيًا، دلالة على أنها غير قادرة على التعبير عن الحقائق المسيحية. "لأن الفاتحين والمفتوحين يتكلمون لغات مختلفة، وديانة الفاتحين لا تنسح المجال أمام الاستغلال الاقتصادي البسيط لأجساد المحليين، بل تتطلب هدايتهم"⁵⁸. فالترجمة في هذا السياق غدت آلية لنقل المجتمع المحلي نحو هويات جديدة، وبحكم الاختلاف اللغوي، فهي الوسيلة الوحيدة للتواصل والإخضاع في الآن نفسه. فالغاية ليست نقل المعرفة بل صناعة هويات جديدة. ومن أجل ذلك خلقت تراتبية اللغات المتداولة: حيث تسييد اللاتينية على عرشها، باعتبارها لغة الكاثوليكية، تليها القشتالية لغة الإمبراطورية الإسبانية، لنصل إلى اللغة الأدنى في السلمية وهي التاغالوغية الغارقة في الوثنية. "لقد جعلت الإمبراطورية اللغة تراتبية حيث لغة القوة الإمبراطورية في القمة ولغة المسودين المذلين المستعمرین في الأسفل"⁵⁹. وللخروج من هذه الحالة ينبغي تحقيق التحول الهوياتي الضروري من خلال تقریب اللغة الهدف من اللغة الأصل، للاقتراب من الرب.

وتعكس هذه التراتبية الهوياتية خياراً إيديولوجياً ملازماً للترجمة الكولونيالية. ففي التجربة المغاربية، كان حضور الترجمة "مؤسساً" للصورة الهوياتية البديلة التي رامها الاستعمار منذ بدايته، ومن هنا نفهم العناية التي أولاها للفعل الترجمي وتكوين المترجمين. فمنذ نزول الجنود الأوائل، واحتلال

57 - روينسون، 2006، ص 18

58 - نفسه، ص 124

59 - نفسه، ص 1

الجزائر في القرن التاسع عشر، اعتبرت الترجمة أداة التواصل الرئيسية مع السكان المحليين، وبين طففين يفتقدان لغة مشتركة: "كانت الترجمة وسيلة اتصال وتواصل بين الإدارة الاستعمارية والأهالي في الجزائر، ولكن أيضاً في تونس عند فرض الحماية الفرنسية عليها العام 1881، وكذلك أثناء فرض الحماية على المغرب سنة 1912، لذا فقد أولت الإدارة الاستعمارية في هذه الأقطار المغاربية المحتلة أهمية كبيرة للترجمة والمتجمين الذين كانوا في الغالب عسكريين"^{٦٠}. ومن هنا بدأ الاهتمام بتكوين المترجمين المتخصصين في مختلف مجالات الحياة العسكرية والسياسية والعلمية، وفتح مسالك ومؤسسات لتكوين، لوعي السلطات الاستعمارية بدور الترجمة في التواصل مع الأهالي وفهم ذهناتهم. فبمجرد دخول الجيش الفرنسي إلى المغرب سنة 1912 أمر المقيم العام الجنرال ليوطى بإنشاء "المدرسة العليا للترجمة"، حيث أوكلت لها مهام تخريج مترجمين وترجم وسطاء بين الحكام والأهالي في المدن والأرياف^{٦١}. وبما أن العربية كانت لغة الوثائق والمعارف، فقد كانت الترجمة في اتجاه واحد من اللغة الدينية إلى لغة القوة، من خلال ترجمة النصوص العربية إلى الفرنسية مما مكن المحتل من "ذخيرة هامة من الوثائق والمخطوطات التي انكبّ على ترجمتها، واعتمد عليها في صياغة أولى الكتب الاستشرافية حول الجزائر بالخصوص، والبلدان المغاربية الأخرى على وجه العموم"^{٦٢}. لذا تلبست عملية الترجمة بعبوس علمي بحثي بغية الاقتراب من المجتمع المحلي واستكشاف خرائطه الهوياتية: "وكان أب الاستشراق الأوروبي سلفستر دي ساسي (ت 1836)، من أوائل المستشرقين الذين اهتموا بالجزائر من خلال ترجمته للمنشورات الأولى للحملة الفرنسية على الجزائر، وبرزوا في مجال الإثنوغرافيا والبحوث الأنثروبولوجية، التي عرفت ازدهاراً في

60 - صورية مولوجي فروجي، عن الأثر العلمي للمترجمين العسكريين في البلدان المغاربية المستعمرة: الجزائر نموذجاً، <http://journals.openedition.org/insaniyat/2015>

61 - القاسمي ، علي (2010)، الترجمة في الوطن العربي المغرب العربي نموذجاً، دراسات في النظرية والتطبيق، مكتبة لبنان ناشرون، ص. 29-30.

62 - نفسه ص. 29-30

هذه المرحلة، وعلى أساسه تم وضع خرائط إثنية وقبيلية للمجتمع الجزائري، ووضعوا خريطة شاملة للقبائل الجزائرية سنة 1844م، ومن ضمن هذه الدراسات نجد العادات والتقاليد واللهجات⁶³. وتواترت البعثات العلمية والدراسات المتناولة للمجتمع وطبقاته وفناهه واستكشاف مفاصله وتنوعاته التاريخية والقبلية. و"نعتقد أن اللهجات شكلت معياراً مهمّاً في تصنيف الخرائط الإثنوغرافية، ونشط في هذا المجال كبار المستشرقين الفرنسيين"⁶⁴. ومن ثمة انشغل علماء الاستعمار بالبحث عن مناطق التنوع اللساني والثقافي، ما دام التنوع في المنطقة لغويًا وليس دينياً أو عرقياً، فانحصرت مجالات الاهتمام في اللهجات واللغات الوطنية العربية والبربرية، والتّراث الشعبي والمعارف التقليدية.⁶⁵ وبعد أن حققت الحملة الفرنسية غايتها في الهيمنة على الجزائر، أصبحت فرنسا أكثر من أي وقت مضى بحاجة إلى "وسطاء" يساعدونها على التغلغل في أعماق المجتمع والإحاطة بأحواله وظروفه⁶⁶. فكانت هذه الأبحاث هي الإطار المرجعي للسياسة الكولونيالية الرامية إلى صناعة واقع هوسياتي جديد.

لكن التراتبية الكولونيالية بين الهويات واللغات ستترسخ مع الانتهاء من مرحلة التأسيس الهوياتي، أي النقل من العربية إلى الفرنسية، إلى مرحلة البناء الهوياتي، بانطلاق الترجمة من لغة القوة إلى اللغة المحلية. إذ نجد الحضور الفرنسي الموسوم بالقوة والافتراض اللغوي هو الميسّم الرئيس، والذي أنتج طبقة هوسياتية مجتمعية في الاستعمال والتداول حسب العلاقة مع لغة المستعمر. "ونظراً للموقع التي تتحلّها اللغة الفرنسية في المغرب، فهي لغة معترف بها باعتبارها لغة للخبر، أي لغة للترقية الاجتماعية: بدونها يصعب على المرء أن

63 - حاج بنيرد، 2020، جهود المستشرقين الفرنسيين في دراسة اللهجات الجزائرية – مقاربة إثنوغرافية، دراسات استشرافية، العدد 22 ، ص 95

64 - نفسه ص 99

65 - نفسه ص 95

«يشق طريقه» في المجتمع⁶⁶. وينعكس الأمر على النخبة التي غدا الارتباط بلغة القوة محدداً هوياتياً إذ: «حين يكتب الكتاب ما بعد الكولونياليين يكون اختيار لغة الكتابة أمراً مشحوناً إلى حد بعيد. فهل ينبغي عليهم أن يكتبوا بلغة القوة، لغة المستعمر الأوروبي الحديث، الإنجليزية أو الفرنسية؟ أو بلغة المستعمر القديم، الهندية أو العبرية؟ فكل من هذين الخيارين يزيد من فرص قراءة الكاتب بين قراء يتعدون حلقة قراءة المحليين الصغيرة، وكل منها يمكن أن يفضي أيضاً إلى اتهامات بالخيانة الثقافية»⁶⁷. وتطور الأمر حتى غدت هذه التراتبية جزءاً من المخيال العام للمجتمع بعد أن انتهت الحاجة من الترجمة التي أدت دورها التاريخي في التحول الهوياتي، لتبدأ عملية صناعة الهويات البديلة من خلال ربط المجتمع المحلي بالمركز الفرنسي عبر تشويط نقل الثقافة الغربية إلى اللغة العربية. «في الترجمة بين المركز والأطراف نجد أولاً أن الثقافة الخاضعة تترجم من الثقافة المهيمنة أكثر بكثير مما تترجم هذه الأخيرة منها، وذلك يعني اتساع تمثيل الثقافة المهيمنة في الثقافة الخاضعة، وضيق تمثيل هذه الأخيرة في نظيرتها»⁶⁸. وهو ما خلق نخبة مرتبطة بالثقافة الغربية بل ومنافحة عنها، وإن كانت هويتها مخدوشة، إلى حد الارتماء في حضنها كما فعل جاك دريدا: «أنا أحادى اللغة، وأحاديتي اللغوية هذه كانت وستبقى بيتي، هكذا أحسها بل وهكذا أسكنها وتسكعني وهكذا ستبقى»⁶⁹.

66 - جliber غرانغيوم، 1995، اللغة والسلطة والمجتمع في المغرب العربي، ترجمة: محمد أسليم، مكناس، الفارابي للنشر، ص 152

67 - سامية روبيسون، 2006، ص 187.

68 - ديب، ثائر، 2014، الترجمة عبر تباينات القوة : اللغة والهوية في عالم الترجمة اللامتكافية، في الترجمة وإشكالات المثقفة، إعداد وتقديم، مجتب إمام محمد عبد العزيز، ط 1، منتدى العلاقات العربية والدولية، الدوحة، ص 295

69 - دريدا، 2007، ص 23. ترتبط الترجمة الكولونيالية بالسياسة اللغوية الاستعمارية بالغرب العربي التي أنسنتها على ثنائية الاهتمام والتدمير، حيث اهتم باللغة الفصحي واللهجات دراسةً وتعلّيماً، ومحاولة تدميرها في الاستعمال العام بإحلال الفرنسية وتعليمها للمجتمع؛ لترسيخ وجودهم فيه ==

3 - الترجمة ونقد التوظيف الصراعي للهوية

انشغلت الترجمة في صورتها الكولونيالية بالتحول الهوياتي وصناعة هويات جديدة فكان جواب خطاب ما بعد الكولونيالية هو فك الارتباط مع المركز. وسنعرض في هذا المحور لثلاثة مشاريع مقاومةً للمنحى الكوليونيالي التي ستؤدي بنا إلى البحث عن الترجمة الإبداعية في بناء السلم الهوياتي.

1.3 - نقد التمرکز العرقي للترجمة: أسس أنطوان بيرمان، أحد أهم نقاد الترجمة الغربيين، قراءته لإيديولوجية الترجمة، كما وظفتها الكتابات الغربية، على ما سماه بالتمرکز العرقي، الذي يقصد به "اللجوء إلى الترجمة التي ترجع كل شيء إلى ثقافتها الخاصة، وإلى معاييرها وقيمها، وأن كل ما هو خارج عن هذه الثقافة: غريب أو سلبي، أو لا يأس أن نلحقه ونكيفه من أجل إثراء هذه الثقافة"⁷⁰. وإذا كان بعض الباحثين يميل إلى ربط التوجه النقدي لبيرمان بتجربته الشخصية والفكرية، التي تمثل في نضاله ضد الاستعمار في طفولته، وتأثره الكبير بنقدية فوكو وتفكيكية ديريدا⁷¹، فإن أهمية أطروحته تنبع من كونها قدّمت نقداً من داخل الذات لمسار الهيمنة الغربية. إذ يقر، بدءاً، بازدحام الكتابات الغربية عن المبادئ المؤسسة للترجمة: الانفتاح، وال الحوار واللامركز⁷². إذ لا يمكن تصور الترجمة خارج العلاقة مع الآخر، فهي واسطة معرفته واكتشافه، فمن خلال مقابلة الآخر نكتشف أنفسنا، وأن الآخر فيما يصبح في متناولنا، بل

== (أبو القاسم سعد الله، 1996، تاريخ الجزائر الثقافي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، ص 19). ومن أجل الوصول إلى هذه الغاية اشتغلوا في إطار الاثنوغرا菲ا بالخصائص الإثنية والعرقية للقبائل والمناطق. فكما فعل الإنجليز في الهند من خلال البحث عن المشترك مع السكان الأصليين، نشط الاستعمار الفرنسي في تشجيع الارتباط بين السكان الأصليين / البربر والغرب دينياً وهوياتياً كما عبر أحدهم: "البربر كانوا ومازالوا مسيحيين، وإن دعوة المسيحية الذين ينتهيون فرنساً بين القبائل البربرية، إنما هم وعاظ يذكرون إخوانهم البربر بدینهم القديم، لا دعوة لدين جديد أو معتقدات غربية" (حاج بنيرد، 2020، ص 95). والغاية الأمثل هي إدامة الوجود الفرنسي من خلال وجود هويته ولغتها.

70 - Berman (1999); p29

71 - Dominique Rougé(2015): *Introduction à l'œuvre théorique d'Antoine Berman*, traductologue français Synergies Pologne n° 12 ; p. 11-17

72 - Berman,(1984). *L'épreuve de l'étranger*. Paris : Gallimard. p 16

هو المحدد لـهويتنا، "إنه القوة الخفية لـهويتنا"⁷³، كما قالت جوليا كريستيفا. ومن خلال الترجمة يمكن للذات استيعاب تعدديتها والاقتراب مما يمتلكه الأجنبي أو الآخر⁷⁴. فمن خلال قراءة الرومانسيين الألمان وترجمة لوثر لكتاب المقدس، أكد بيرمان على الدور النَّقْلي للترجمة دون تدخل من المترجم أو لغته، أي نبذ أي سيادة خارجة على النص الأصلي. فوظيفة المترجم هي نقل مقاصد المصدر دون فرض الذات على المتلقِّي أو تمركز للذات الناقلة. فالترجمة الغربية في اعتقاده،منذ البدايات الأولى، كانت متمركزة على الذات من خلال التصرف في الأصول وإعادة صياغتها كما فعل شيشرون وجروم، وهو ما يعتبر تحريفاً عن هدفها الأصلي. لذا يدعو بيرمان إلى نقد القيم الأيديولوجية والأدبية التي تحرف الترجمة عن هدفها الخالص وتتنكر غرابة العمل الأجنبي⁷⁵. ولخص عملية التحريف في: العقلنة والتوضيح والإطالة والإهانة والابتذال، والإفقار النوعي والإفقار الكمي والتجانس وتدمير الإيقاعات، وتدمير الشبكات الدالة الضمنية، وتدمير المنهجيات النصية، وتدمير الشبكات اللغوية العامة، وتدمير التعبير، وإلغاء التراكيب اللغوية⁷⁶. فكل هذه الآليات تتدخل في الأصل من أجل صناعة نص جديد عن طريق الترجمة. ويبعدو أن غاية لبيرمان ليست مراجعة تاريخية لمسار الترجمة الغربية فحسب، بل بناء قواعد أخلاقية تؤطر عمل المترجم الذي تحول في الغرب إلى إيديولوجية تتصرف في النص، وتخلق نصوصاً جديدة، ومعها هويات جديدة. أي أن الهدف هو تسييج النص الأصلي أخلاقياً، عبر معايير قيمة لتقدير الترجمات ونقدتها⁷⁷. إذ لا تكمن صعوبة الترجمة في النص أو امتلاك الأدوات الضرورية، بل في المترجم الخاضع لضغوط الواقع والأفكار التي تؤثر في عمله دونوعي منه. ويدرك بيرمان أنها ليست مشكلات تنتهي بإدراكتنا لها ووعينا بها، وإنما هي أشبه بعادات اكتسبناها وعلينا أن نتخفف منها ونحاول

73 - Julia Kristeva(1988). *Etrangers à nous même*, éd. Fayard, p.22

74 - Berman,(1984). p.104

75 - ibid. p17

76 - Berman(1999); p13

77 - Charles Le Blanc 2009, *Le complexe d'Hermès. Regards philosophiques sur la traduction*, p. 62

تنقية ترجماتنا منها. فغاية الترجمة أخلاقية لأنها ترغب في افتتاح الغريب على فضاءه اللساني الخاص. ولا يعني هذا، أن الأمور تمت تاريخياً ودوماً على هذا الشكل؛ بل على العكس، فإن الغاية التملكية والاستحواذية المميزة للغرب، غالباً ما عملت على خنق الميل الأخلاقي للترجمة.⁷⁸

2.4 الترجمة بين الثقافات، فك الارتباط مع الحداثة: لا يمكن فصل النقاش حول موقع الترجمة عن النقاش الحضاري بين الغرب الكولونيالي وشعوب الجنوب. إذ ترفض المركزية الغربية الاختلاف واستقلالية الثقافة المغلوبة، وتجبرها على التبعية والإلحاد، وهذا لا يتعلّق بالثقافة فقط، بل بالقيم الوجودية للعالم التي تغدو قيمًا كونية تفرض عبر وسائل الهيمنة المختلفة. لذا تأسس التيار النقض — كولونيالي باعتباره خياراً إستيمياً يفك الارتباط بأسس المفاهيم المعرفية الغربية ذاتها والمقصود "تحويل جغرافية وسياسة جسد المعرفة من أساسها في التاريخ الإمبريالي الغربي في القرون الخمسة الماضية إلى جغرافية وسياسة جسد الناس واللغات والأديان، والمفاهيم السياسية والاقتصادية، والذاتيات، إلخ، التي تعرضت للتمييز العنصري (أي حرمت من إنسانيتها)".⁷⁹ وتقوم الفكرة المؤسسة لهذا التيار، الذي تبلور في أمريكا اللاتينية، على أن الظاهرة الاستعمارية مستمرة في المفهوم من خلال الحداثة، أو ما سماه عالم الاجتماع البيروفي أنبيال كيخانو بـ"كولونيالية السلطة".⁸⁰ حيث الاستعمار والحداثة، وجهاً لعملة واحدة: "إذا كانت الحداثة لا يمكن أن توجد من دون كولونيالية، فلا يمكن أن تكون هناك حداثة عالمية من دون كولونيالية عالمية".⁸¹ فالكولونيالية في شكلها التقليدي المباشر، أو الرأسىالي المعاصر، قد أوجدت

78 - Berman, (1984), p. 17

79 - والتر منيولو(2022)، الخيار النقض – كولونيالي ومعنى الهوية في السياسة، ترجمة : مليكة خندكي، في : يحيى رمضان وأخرون، الخيار النقض كولونيالي من فك الارتباط إلى إعادة الوجود، دار ركاز للنشر والتوزيع، ص221

80 - رمضان، 2020، ص 48

81 - نفسه ص 50

أشكالاً من الإدارة ارتكزت على التصنيف العرقي والهوياتي، مما أدى إلى الصراع القائم على أساس الهوية. أي أن النقاش الهوياتي، الذي نتطور إلى الاحتراط، لم يكن أصلياً في شعوب الجنوب، بل هو جزء من البناء السلطوي للاستعمار والحداثة. ففكرة العرق، على سبيل المثال، التي تعتبر أحد أهم مكونات النقاش الهوياتي الحالي "هي من دون شك أداة الهيمنة الاجتماعية الأكثر فعالية التي اخترعت في الخمسينيات سنة الأخيرة"⁸²، قد بروزت مع تشكيل أمريكا، ومعها النظام الرأسمالي، لكنها فرضت لاحقاً على سكان العالم في إطار التحيط الهوياتي الكوني. ومن خلال قراءة النقاش الهوياتي الذي عاشته، وتعيشه، بعض الدول حيث تطفو المشاكل العرقية كالولايات المتحدة الأمريكية، يؤكّد كيخانو أن الباحثين لم يستطعوا تجاوز النقاش حول العنصرية إلى مراجعة البعد الإيديولوجي لفكرة العرق ذاتها⁸³. "إن الأمر يتعلق ببناء إيديولوجي عار، ليس له حرفيأية علاقة مع الهيكل البيولوجي للنوع الإنساني، وله بدلاً من ذلك علاقة كاملة مع تاريخ علاقات السلطة في الرأسمالية العالمية، الاستعمارية/ الحديثة الأورو-مركبة"⁸⁴. ويتأسس هذا التاريخ على أسطورة الترقى التي تطلق من البدائية (التي تضم السود والهنود)، إلى الأكثر تحضراً (التي هي أوربا)، مروراً بالشرق (الهند والصين)⁸⁵. بناء على ذلك فمن دون مغادرة سجن المركزية الأوروبي ومفاهيمها لا يمكن التحرر من فكرة العرق والعنصرية وغيرهما من المفاهيم الهوياتية. والأفق المقترح هو البحث عن البدائل الواقعية التي تتجاوز الرؤى الغربية المتمركزة على الذات، ولم لا توظيف الترجمة في مناهضتها. فهي الآونة الأخيرة غدت الترجمة عنصراً منها ومحورياً في مناهضة الهيمنة الغربية والنيوليبرالية. فمن خلال العلاقات العابرة للحدود بين الحركات المحلية

82 - كيخانو (2022)، ماذا عن العرق؟، ص 143

83 - نفسه، ص 145

84 - نفسه، ص 146

85 - نفسه ص 151

والشبكات التواصلية أصبحت الترجمة وسيلة التواصل الرئيسة بين فعاليات المقاومة. وقد "تكشف حركة العولمة المضادة للهيمنة عن زيادة وضوح وتنوع الممارسات الاجتماعية في أجزاء مختلفة من العالم: إنها كوكبة من الحركات المتنوعة للغاية.... يتطلب توضيح كل هذه الحركات المختلفة وربطها وإنشاء شبكات عبر الحدود جهد ترجمة هائل"⁸⁶. لأن ما أظهرته الحركات الاجتماعية التي انطلقت في سياتل في نوفمبر 1999، هو أن الاختلاف في التنظيمات الاجتماعية للشعوب شكلي، في حين تتمثل الأصول الفكرية والاجتماعية بينها. فالتنوع الثقافي خلق مستويات من التعددية في الممارسات والأهداف، لكن مع توافق في الأصول الاجتماعية المحلية: ففكرة المشاركة الموجودة في العديد من مدن أمريكا اللاتينية، تشبه التخطيط التشاركي للبناشيات في ولاية كيرالا والبنغال الغربية، وأشكال الإدارة الذاتية للشعوب الأصلية في أمريكا، وسكان البوادي من إفريقيا. فالرهان هو إعادة الاعتبار للقيم المحلية المتماثلة في مسار المقاومة وترسيخ السلم.

وبحثا عن فك الارتباط مع النموذج الغربي اقترح العديد من الدارسين ما سمي نظرية "إبستيمولوجيا الجنوب" التي اعتبرت أهم إسهام لعلماء الاجتماع في أمريكا اللاتينية في السنوات العشرين الماضية⁸⁷، وهي خيارات معرفية ومعيارية تسمح لنا بالتعلم من الجنوب المناهض للإمبريالية⁸⁸، دون إطلاقية أو شمولية. وردا على إطلاقية الغرب يقترح المشروع النسبي الإجرائية من خلال "إيكولوجيا المعرفة" القائم على عدم وجود معرفة مطلقة أو جهل مطلق: "كل جهل هو جهل بمعرفة معينة، وكل معرفة تتصر على جهل

86 - ibid

87 - BOAVENTURA DE SOUSA SANTOS (2003), **LA CAÍDA DEL ANGELUS NOVUS: ENSAYOS PARA UNA NUEVA TEORÍA SOCIAL Y UNA NUEVA PRÁCTICA POLÍTICA**, COLECCIÓN EN CLAVE DE SUR Editor: César A. Rodríguez ; Bogotá, Colombia., p18.

88 - De Sousa Santos; Boaventura(2011), **Epistémologies du Sud** ,tr de l'anglais par: Magali Watteau, Etudes rurales ; n°187. <http://journals.openedition.org/etudesrurales/>

معين"⁸⁹. والاعتراف ببنية الثقافات لا يعني بالضرورة تبني النسبة ك موقف فلسي⁹⁰. لأن الغاية هي تيسير التواصل بين الشعوب، والاستفادة من كل الثقافات دون تمييز، مما يشري الطرق المختلفة من التفكير. وعملية التنسيب التي تحفظ لاختلاف قدسيته تفرض "الترجمة بين الثقافات" كأساس للانتقال من الذات نحو الآخر والتي: "تفهم على أنها مسار خلق وضوح متبادل بين التجارب المختلفة للعالم، سواء كانت متاحة أو ممكنة... يتم التعامل مع تجارب العالم، في أوقات مختلفة في عمل الترجمة، إما ككل أو كأجزاء، تماماً مثل الحقائق التي تفلت من هذه الكل أو هذه الأجزاء"⁹¹. فعمل الترجمة في هذا المشروع هو عمل مقاومة واقتراح بدائل معرفية وحضارية، دون نفي لدور أي جماعة في الحضارة الإنسانية، خاصة الجماعات التي تعرضت للقمع الثقافي والمعرفي. إذ "يحاول عمل الترجمة التقاط علاقة الهيمنة بين التجارب المختلفة والكشف عن ما تحتويه هذه التجارب (خاصة تجارب الضحايا) خارج هذه العلاقة. في هذه الحركة المزدوجة، تظهر علاقات الوضوح المتبادل، والتي يجب ألا تصل إلى حد "أكل لحوم البشر" المتبادل"⁹².

وأهمية هذا النموذج أنه لا يتوقف عند الاقتراحات النظرية للترجمة، بل يتجاوزها إلى الممارسات والسلوكيات العملية التي تبرز تقاربها في الاهتمامات بين الثقافات، وتماثلاً في المفاهيم الموظفة، بالرغم من اختلاف السياقات. ويقترح علينا سانتوس تأمل التقارب — على سبيل المثال — بين المفهوم الغربي لحقوق الإنسان، ومفهوم الأمة الإسلامي، ومفهوم الدراما الهندوسي، وترجمة المفاهيم المختلفة للحياة الإنتاجية من خلال مقارنة مفهوم التنمية الرأسمالي بمفاهيم سواديشي Swadeshi التي اقترحها غاندي، وسوماك كواوزي Sumak Kawsay التي اقترحها المند الأمريكيون. فالرؤى التأويلية التي يقترحها علينا

89 - ibid

90 - ibid

91 - ibid

92 - ibid

سانتوس، ومعه رواد النقض كولونيالي، تنتطلق من أن جميع الثقافات غير مكتملة، وبالتالي يمكن إثراوها من خلال الحوار والتواصل، وهذا موقع الترجمة والنقل. فالرؤى الشمولية التي بنته الكونية الغربية تسقط مع التنسيب والاقتناع باستحالة الاتكمال الثقافي. "إن الشعور بالنقض وعدم الاتكمال هو الدافع لعمل الترجمة، والتي لكي تؤتي نتائجها يجب أن تكون ملتقي دوافع متقطعة ومتجلدة في ثقافات مختلفة"⁹³. لكن الأهم في هذا المشروع هو البحث عن الأدوار الإجرائية للترجمة في مسار مقاومة الحداثة الغربية. وينطلق سوسا من مثال حي نعيشه في مجتمعات الجنوب: فالتعايش بين الطب الحديث والطب التقليدي يبرز أن فعل الترجمة يجب أن يتم في الوقت نفسه بالمعرفة النظرية والسلوكيات الناشئة عنها. المقصود هنا أن الترجمة ليست خطاباً نظرياً فحسب، بل هي سلوك عملي ترجم إليه هذه المعارف. ويتم التمييز بين المستويين من خلال زاوية النظر.

وخلاصة القول، إذا كانت دراسات ما بعد الاستعمار قد كشفت سبل توظيف الترجمة من أجل تأييد الهيمنة، فإن إيسيمولوجي الجنوب عملت على نقض هذا الخيار الاستعماري، وفتح حوار مع الآخر، وفك الارتباط عن أصوله الفكرية: الحداثة، وفق منطق هوياتي جديد عبر أداة الترجمة.

3.2 الترجمة بين الاختلاف والإلحاد، الحاجة إلى التعدد الهوياتي: تتفق جل المشاريع النقدية للمسار المؤدلج للترجمة الغربية في استعادة أصلها المؤسس: الاختلاف. "إن الترجمة بما هي رحلة نحو المختلف، وتوق إلى التعرف على الآخر، تطرح إشكالية جوهرية متعلقة بتاريخ الأفكار، وتمثل في مصطلح أنثروبولوجي معاصر يسمى الاختلاف، فلا يمكن للترجمة أن تؤدي رسالتها، إلا إذا أقرت الاختلاف وسايرته"⁹⁴. فالاقتناع بدور الترجمة في تجسير العلاقة بين

93 - ibid

94 - سلمى محمد عبد الله باحشوان، 2022، الترجمة والاختلاف الثقافي في الأدبيات العربية، مجلة تجسير، المجلد الرابع، العدد 2، مركز ابن خلدون للعلوم الإنسانية والاجتماعية وتنشرها دار نشر جامعة قطر، ص 13.

المختلفين يجعل التفكير فيها تفكيرا في الذات وعلاقتها مع الآخر الحقيقى أو الافتراضي. حيث أثبتت المركبة الغربية لسار القضاء على الهويات الخاصة عبر ما يسمى ميشونيك بالإلحاد، الذي "يتضمن في أكثر أشكاله حدة إلى: الإمبريالية الثقافية"⁹⁵، والذي يفضي إلى التنميـة الثقافيـة والهويـيـة. وقد كانت الترجمـة على الدوام جـزءا لا يتجـزـأ من منظومة الإلحاد العقدي والاجتماعي والسياسي كـما يـبدو من الحاجـة التبـشيرـية⁹⁶، لكنـها تـأخذ شـكـلا أوـسع حين تـجـعـل النـقل مـكتـفـا وبـاتجـاه واحد: من النـص المـصدر عنـوان القـوة والـهيـمنـة إـلى النـص الـهدـف فـضـاء الاستـيعـاب والتـلقـي، وهو ما يـخلق اـختـلاـلا في توـازـن القـوى الثقـافية التي أـشارـ إليها جـاكـومـون تحت عنـوان "ترجمـات غير مـتنـاسـبة"⁹⁷، ويـقصد بذلك أن ثـقـافـات الجنـوب المـسيـطـر عـلـيـها من ثـقـافـات الشـمـال المـهيـمنـة تـرـجـمـأـكـثـر بـكـثـيرـاً ما تـرـجـمـ هذه الأـخـيرـة من الأـولـى. بل يمكن مـلاحظـة الهـيـمنـة التي تـمارـسـها اللـغـة الإنـجـليـزـية، من غـيـابـ التـنـاسـب بين التـرـجـمة إـلـيـها وـمـنـها، ليسـ في مـقـابـلـ لـغـاتـ الجنـوب فـقطـ، بلـ حتـىـ في عـلـاقـتها بـالـلـغـاتـ الكـولـونيـالـيةـ الأـخـرىـ، مماـ يـمـنـحـهاـ اـمـتـياـزاـتـ السـيـادـةـ عـالـمـياـ، وفيـ الوقتـ نـفـسـهـ تـوجـيهـ الـعـالـمـ نحوـ الأـحـادـيـةـ الهـوـيـاتـيـةـ وـالـقيـمـيـةـ⁹⁸. لـذـاـ عـدـتـ الإنـجـليـزـيةـ عنـوانـ الهـيـمنـةـ وـنـفيـ الاـخـتـلاـفـ عـبـرـ العـدـيدـ منـ الـآـلـيـاتـ الإـجـرـائـيـةـ التيـ تـتـدـرـجـ منـ الـاسـتـغـلالـ، إـلـىـ التـغـلـغلـ، فالـتـجـزـئـةـ، ثمـ التـهـمـيـشـ⁹⁹. وـفيـ كلـ هـذـهـ الأـحـوالـ، تـسـتـنـسـخـ عـلـاقـةـ الهـيـمنـةـ بـيـنـ الجـمـاعـاتـ العـلـاقـةـ الأـبـوـيـةـ فيـ الأـسـرـةـ:ـ وـسـوـفـ نـرـىـ أنـ الـمـسـتـعـمـرـينـ الـأـوـرـيـينـ قدـ أـفـادـواـ إـلـىـ أـفـصـىـ الـحـدـودـ منـ هـذـاـ الـقـيـاسـ عـلـىـ الـأـطـفـالـ وـالـرـاشـدـيـنـ فيـ مـحاـوـلـاتـهـمـ أـنـ يـشـرـحـواـ لـأـنـفـسـهـمـ وـلـرـعـاـيـاهـمـ

95 - ماثيو غيدير. (2011) مدخل إلى علم الترجمة، ترجمة أ. أحمد طجو، النشر العلمي والمطبع، الرياض، ص 94.

96 - George Steiner (1978) : *Après Babel une poétique du dire et de la traduction*, Albin Michel, pp. 31 - 44.

97 - روبنسون، 67- 68

98 - نـقـلاـ عـنـ: رـوـبـرـتـ فـلـيـسـوـنـ، 2007ـ، الهـيـمنـةـ الـلـغـوـيـةـ، تـرـجـمـةـ سـعـدـ بـنـ هـادـيـ الـحـشـاشـ، طـ1ـ، جـامـعـةـ الـمـلـكـ سـعـودـ لـلـنـشـرـ الـعـلـمـيـ، صـ 16ـ

99 - نفسهـ، صـ 78ـ

كيف (أ) يبقى المحليون أطفالاً بالمقارنة مع حكامهم الأوروبيين، و(ب) ضرورة فرض نظام تعليمي بما فيه الترجمة على المحليين للأخذ بيدهم من حالتهم الطفولية إلى حالة أوربية من الرشد أو البلوغ، أي إلى حالة من التنظيم الذاتي القائمة على استدخال السلطة الأوروبية¹⁰⁰. وإذا كانت بعض اللغات الاستعمارية مثل الإسبانية والفرنسية، بدأت تناوح عن الاختلاف والتعددية، فذلك لعدم قدرتها على الصمود أمام زحف الإنجليزية. وهذا هو الدافع في أن التعددية اللغوية، ومعها الترجمة، كانت جوهر المشروع الأوروبي منذ البداية، حتى قال إمبرتو إيكو: "إن لغة أوروبا هي الترجمة"¹⁰¹، ليس لاختلاف اللغات، وإنما خوفاً من انقراضها. فأصبح خصم الاختلاف والتعددية هو اللغة الإنجليزية، المدعومة من طرف كيانات مؤسسية، والتي تدفع بالعالم نحو التوحد autisme العلمي والثقافي¹⁰²، مما سيلغي الحاجة للترجمة التي تقوم على أساس الاختلاف أو التمييز بتعبير عبد السلام بنعبد العلي¹⁰³. فتحن نترجم لأننا مختلفين. وهو الشكل الثاني، المناقض للإحراق، الذي يسميه ميتشونيك الإزاحة عن المركز، وهي علاقة نصية بين نصين في لغتين وثقافتين مختلفتين¹⁰⁴. فالعديد من الأسس الواقعية، تجعل التنميط / الإحراق مستحيلاً وتفرض التواصل والاختلاف. فإخفاقات الترجمة الآلية المتاحة عبر الأنترنت، وفشلها في تنميط كل المفاهيم باللغة الإنجليزية، كما تزعم باربرا كاسين، تفرض حماية التعدد اللغوي والرهان عليه¹⁰⁵. كما أن تطور العلوم الإنسانية والدقيقة، كما يقول العالم

100 - روبنسون، ص 39

101 - عبد السلام بنعبد العلي، 2020، الترجمة جسراً للبناء المؤلف الإنساني، مجلة التفاهم، المجلد 18، العدد 67، ص 339

102 - Calvet, L.-J; **La traduction au filtre des traductions**, Hermès; no 49, 2007.

<https://www.cairn.info/revue-hermes-la-revue-2007-3-page-45.htm>

103 - عبد السلام بنعبد العلي، 2005، ضد الراهن، دار توبقال للنشر، ص 14

104 - غيدير. (2011)، ص 94

105 - Prado, D. **La traduction automatisée : le cas des langues romanes**, Hermès no 56, 2010. P 96

الفيزيائي مارك ليفي لوبلوند Marc Lévy-Leblond ، ودخول العديد من الشعوب في مسار النهضة العلمية، يجعل من الضروري أن تكون هذه العلوم متعددة اللغات وأن تعزز الترجمة بجميع أشكالها¹⁰⁶. ففي عالم يتحول مركز ثقله نحو مناطق جغرافية أخرى، أصبحت الترجمة ضرورة حضارية وجودية. كما أن العولمة، بلغتها الإنجليزية، وبالرغم من رؤيتها التنمية تطلب مزيداً من الاهتمام بعمليات الوساطة ومشاكل التحويل، خاصة ما يتعلق بالمفاهيم الجوالة والتفاعل الثقافي. هنا، تصبح الترجمة، من ناحية، شرطاً للتواصل العالمي، ومن ناحية أخرى، وسيلة لإبراز الاختلافات الثقافية واحتلالات القوة وفرص الحركة. فالاختلاف حقيقة وجودية والترجمة آلة.

4 - الترجمة الإبداعية في خدمة السلم الهوياتي:

أبرزنا في المحاور السابقة بأن الترجمة لم تكن مجرد آلية تقنية لنقل المعاني والألفاظ، كما ورد في التعريف اللغوية، بل كانت على الدوام آلية إيديولوجية بيد الكولونيالية، توظفها في بناء الهويات الجديدة وصياغة الإطار المرجعي للاستعمار وسياساته الاقتصادية والاجتماعية. فكانت نتائج هذا المسار هو الاحتراق الهوياتي الذي تعشه العديد من المجتمعات التي عانت من الاحتلال، وما زالت تعاني من تبعاته الهوياتية. فهل هذا يعني التخلّي عن الترجمة باعتبارها أداة للاحتلال والاحتراق؟ هل هذا يعني الخين إلى زمن ما قبل الترجمة؟.

يبدو أن الانتقادات التي وجهها نظار الدراسات الثقافية، قد وجّهت للتوظيف الإيديولوجي للترجمة، الذي جعل منها أداة للصراع، وغدا دورهم هو تخلصها من هذه الرؤية المركزية. إذ "إن المنظرين ما بعد الكولونياليين الذين يتوقعون إلى الحالة ما قبل الكولونيالية ويتمسّون لو أن بمقدورهم إعادة عقارب الساعة إلى الزمن قبل أن يحط المستعمرون الأجانب رحالهم، إنما ينزعون إلى سب الأمبراطورية باعتبار الترجمة أمراً سلبياً على وجه الخصر، بوصفها أداة

106 - Leclerc-Olive, M., *Crise financière et espace public : traduire le langage de l'aléatoire*, Hermès no 56, 2010.

"للامبراطورية"¹⁰⁷. ولا تختلف غاية الترجمة الإبداعية، كما نتصورها، واقتبسنا عناصرها الأولية من كتابات طه عبد الرحمن وسوسا وغيرهما، عن التصورات التي وضعتها مشاريع المقاومة ما بعد الكولونيالية، والتي تقوم على استعادة الأصل الوجودي للترجمة المتمثل في التفاعل الثقافي بين الجماعات وإحياء القدرة الإبداعية لدى المترجم. وبالرغم من التسميات المختلفة، فجل مشاريع المقاومة الفكرية، التي أشرنا إلى بعضها، تقوم على نبذ مركزية الغرب الذي جعل من الترجمة أداة إيديولوجية للهيمنة، ومن الهوية خطاباً للاحتراب. إذ كانت الترجمة والهوية على الدوام أداتان محوريتان من أدوات الهيمنة الكولونيالية، ومنتوجان من إبداع الحداثة الغربية بامتياز. فال الأولى وجهت نحو التنميـط والمركـزـية، والأخـيرـة وجهـت نحو الصراع والاحـترـاب.

1.4 - خطاب السلم الهويـاتـي: يعتقد كثـيرـ من الدارـسـينـ بأنـ خطـابـ الهـوـيـةـ وـتـدـاعـيـاتـهـ كانـ جـزـءـاـ منـ تـشـكـلـ الجـمـاعـةـ الإـنـسـانـيـةـ مـنـذـ الـأـزلـ،ـ لـكـنـ تـحـوـلـهـاـ إـلـىـ خطـابـ قـلـقـ اـرـتـبـطـ بـالـانـعـطـافـاتـ التـارـيـخـيـةـ التـيـ عـرـفـتـهـاـ الدـوـلـةـ الـحـدـيـثـةـ.ـ "ـفـكـلـمـاـ تـصـاعـدـتـ حـالـاتـ القـلـقـ فـيـ الـوـاقـعـ بـدـأـ الـبـحـثـ فـيـ مـقـومـاتـ الـاـنـتـهـاءـ وـعـلـلـ الـوـجـودـ،ـ مـنـ خـلـالـ اـسـتـحـدـاثـ جـمـاعـاتـ "ـاـفـتـراـضـيـةـ"ـ اـسـتـنـادـاـ إـلـىـ آـلـيـاتـ وـاقـعـيـةـ"¹⁰⁸.ـ مـاـ يـعـنيـ أـنـ تـطـورـ النـقـاشـ حـوـلـ الهـوـيـةـ وـمـفـرـدـاتـهـاـ لـيـسـ خـاصـاـ بـشـعـبـ أوـ قـومـ،ـ أـوـ حـالـةـ خـاصـةـ بـالـمـنـطـقـةـ الـعـرـبـيـةـ بـعـدـ فـشـلـ الدـوـلـةـ الـو~طنـيـةـ كـمـاـ يـعـقـدـ الـبعـضـ¹⁰⁹ـ،ـ بـلـ هـيـ وـلـيـدـ الـانـعـطـافـاتـ الـكـبـرـىـ التـيـ عـرـفـتـهـاـ الدـوـلـةـ الـحـدـيـثـةـ.ـ وـبـعـبـارـةـ أـوـضـحـ:ـ النـقـاشـ الهـوـيـاتـيـ هـوـ الـوـلـيدـ الـطـبـيـعـيـ لـلـدـوـلـةـ الـحـدـيـثـةـ وـقـيمـهـاـ الـلـيـبـرـالـيـةـ مـنـ خـلـالـ مـاـ تـسـمـيـهـ هـالـيـبـرـنـ "ـتـرـسـخـ الـفـرـدـانـيـةـ"¹¹⁰.ـ فـالـذـيـ أـعـطـىـ

107 روبيسون، ص 126

108 - فؤاد بو علي وآخرون، 2022، تدبير السلم السلم الهويـاتـيـ فـيـ عـالـمـ الـمـسـلـمـيـنـ، طـ1ـ،ـ مـرـكـزـ الـحـكـماءـ لـبـحـوثـ السـلـامـ،ـ الـرـبـاطـ،ـ الـمـغـرـبـ،ـ صـ41ـ

109 - عبد الغني عـمـادـ،ـ 2017ـ،ـ سـوـسيـوـلـوـجـيـاـ الـهـوـيـةـ،ـ مـرـكـزـ درـاسـاتـ الـوـحدـةـ الـعـرـبـيـةـ،ـ صـ13ـ

110 - Halpern, Catherine (2004). *Faut-il en finir avec l'identité?* in Sciences Humaines. No 151, Auxerre, France.p.13

للمفهوم وجوده الإشكالي الذي وصل حد الاحتراط، والصراع على الذاكرة والانتفاء، هو الحداثة بقيمها الذاتية، وظهور الدولة الحديثة التي احتكرت الهوية حتى غدت شأنًا مؤسساتياً وقضية سياسية¹¹¹، وهو ما لم يطرح في المجتمعات التقليدية. "الهوية صيرورة ذاتية للحداثة ومرتبطة تاريخيًا بها. لم يكن الإنسان المندرج في مجتمع تقليدي يطرح مشاكل الهوية كما نفعل نحن اليوم. رغم أنه عمليًا كان يعيش فردانية"¹¹². لذا تبقى الهوية حاملة معها نتوءات النشأة التي تتجلّى في العلمنة والإعلاء من شأن الفرد ضد الجماعة: إذ "لم نعد في عصر الجماهير وإنما في عصر الأفراد" كما يصلاح معلوم¹¹³.

وينضاف في دول العالم الثالث، أو دول الجنوب، عامل آخر ينبغي استحضاره في النقاش الهوياتي ويتعلق بعملية التحديث القسري وفرض النموذج الغربي للحداثة والهيمنة الرأسمالية على القيم والفضاء العام. إذ "قد لا يكون ممكنًا تحرير البناء الأميركياني والعنصري للهوية في العالم الحديث في ظل اقتصاد رأسائي من مظهره الطبيعي الذي يبدو عليه. فالهويات التي أنشأتها الخطابات الأوروبية الحديثة كانت عنصرية (أي المصفوفة العنصرية الكلونيالية) وبطريكة"¹¹⁴. فمفاهيم اللغة والعرق والنوع هي عناصر الهوية البارزة التي تشار في النقاش المعاصر، لكنها في التوظيف الهيمني تخت "عنصرَتها": "وتعني العَنْصَرَةُ أنَّ هُنَاكَ خطاباً معيناً، وإثنيَّةً معينةً تُعتبرُ نفسَها بِهَذَا الخطابِ مالكةً لسلطةِ تَصْنِيفِ المَجْمُوعَاتِ الإِثْنِيَّةِ"¹¹⁵. وكانت عملية التصنيف هذه مقدمةً مرجعية للصراعات الهوياتية التي تعيشها دول الجنوب أو التي خضعت للمد

111 - عبد الغني عمام، ص 147

112 - Ibid p14

113 - معلوم، أمين (1999) المويات القاتلة: قراءات في الانتفاء والعالم، ترجمة نبيل محسن. دمشق: دار ورد للطباعة والنشر والتوزيع، ص 100

114 - والتر منيولو، الخيار النقض - كولونيالي ومعنى الهوية في السياسة، ترجمة: مليكة خندكي، في: الخيار النقض كولونيالي من فك الارتباط إلى إعادة الوجود، ص 220

115 - والتر منيولو، ص 219

الكولونيالي. فالحروب المشتعلة في دول الجنوب، أو التي عاشت المرحلة الاستعمارية، تثبت أنها جزء من بناء كولونيالي ممتد عبر الزمان وإن انحصر في المكان. ولمواجهة هذه الحروب ينبغي بناء مشروع للسلم الهوياتي ينطلق من تفكيك الخطاب الاستعماري وآلياته الوظيفية، وتوظيف الخصوصيات المحلية في فهم النزاعات وتحليلها كعنصر مما يطلق عليه السلم المحلي الذي يركز على الدور الحاسم للسياق الثقافي في الصراع وبناء الأمن والسلام¹¹⁶. ومقصودنا بالسلم الهوياتي هو: "تحصين هوية الجماعة من كل ما من شأنه أن يهددها، أو يخل بمبادئ العيش المشترك بين أفرادها".¹¹⁷

وكما كانت الترجمة من أهم أدوات الاحترا布 الهوياتي فإن وجودها أساسي في بناء السلم الهوياتي من خلال عناصر ثلاثة:

أ - نقد المركبة الغربية للمعرفة واستعادة الإبداعية

ب - العودة إلى أصل وجود فعل الترجمة المتمثل في الاختلاف والتواصل

ج - بناء نموذج مرجعي للحوار بين الثقافات يقوم على تنسيب المعرفة وتعدديتها

2.4 - الترجمة: الإبداعية والتواصلية: تقوم الترجمة التي تبلورت في كتابات المناهضين للمركبة الغربية على أساسين متلازمين، حملنا سياقهما سابقاً:

أ - الأساس الإبداعي، الذي يعني استعادة الذات مبادرة الإبداع في مواجهة الهيمنة الفكرية والإيديولوجية الغربية،

ب - الأساس التواصلي، من خلال استعادة دورها الأنطولوجي التواصلي بين الثقافات.

116 - فائز، عبد الحميد وآخرون (2022)، *السلم المحلي: مقاربات متقاطعة*، ط1، مركز الحكماء لبحوث السلام، الرباط، المغرب، ص13

117 - فؤاد بو علي وآخرون، 2022، ص 44

ولعل ما يطرح بحدة في الحالة الراهنة ليس ضرورة الترجمة بقدر ما هو حول جدواها وال الحاجة إليها { يحتاج إعادة صياغة}. فنحن أمام حاليين تقاومان جدوائية النقل: التبسيط الهوياتي الغربي (خاصة الأنجلو سكشوني) والاكتفاء الحضاري للغات المهيمنة. ففي عالم "كوزموبوليتاني /أممي" يغدو الانتفاء الثقافي موضع تساؤل، والتعددية خطاباً نظرياً وليس واقعياً، والأحادية هي دين العصر. ومن ثمة، فإن مسار التبسيط الهوياتي الذي راهنت عليه لغات القوة، خاصة مع عولمة القيم والأذواق¹¹⁸، يعيد النظر في حقيقة الاختلاف وجواهريته. وإذا كان البعض يرجع فكرة الأهمية أو الكونية إلى ما قبل الزمن الاستعماري، إلى الأدبيات اليونانية، وبالضبط حين الحديث عن الأبعاد العالمية للوجود الإنساني عند ديوجين الذي تحدث عن المواطن في العالم، أو الفيلسوف الرواقي زينو الذي زعم أن جميع الشعوب تحمل في داخلها الحقيقة الإلهية وأن الجميع كانوا قادرين على استخدام العقل الإلهي¹¹⁹، فإن منطق الوجود الكوني للحظة الرأسمالية، مختلف عن كل الرؤى السابقة، حين يجعل جوهره قائماً على الهوية الإنسانية الواحدة والأخلاق الكونية¹²⁰. ومن ثمة، فالإبداعية تقوم على الاختلاف واستعادة الجوهر الوجودي للترجمة التي كانت على الدوام أصلاً ضروريًا من أصول التلاقي البشري والتواصل بين الحضارات بل والتأثير فيها بينها. فالاهتمام بالهوية داخل الترجمة هو جزء من الاهتمام بالعلاقة مع الآخر ومن خلال اللغة بالأساس: بين الهوية والترجمة اللغة. لذا كان توظيفهما الكولونيالي متماثلاً. إضافة إلى أن اللغة هي مكون من مكونات الهوية نفسها، فقد أصبح كل نص يتوجه الآخر منها كان موضوعه، لا بد أن يخضع لترجمة معينة حسب الحاجة إلى ذلك. ومن ثمة كانت الترجمة على الدوام، كما يبرزه التاريخ المحلي للشعوب، أداة للتأثير وصناعة التغيير الثقافي. فقد شكلت، على

118 - بنعبد العلي، 2005، ص 14

119 - Michael Cronin(2006)؛ **Translation and Identity** ; Library of Congress Cataloging in Publication; p7

120 - Ibid ; p 23

سبيل المثال، ترجمة الكتاب المقدس البوذى من السنسكريتية إلى الصينية نواة تأسيس الفكر الصيني، لأن البوذية دخلت الصين من خلال الترجمة قبل دخولها في صراع مع الكونفوشيوسية والطاوية. ومع وصول أعداد من المبشرين المسيحيين من الغرب منذ أواخر القرن السادس عشر فصاعداً، كانت الترجمة إلى الصينية وسائلهم للتأثير في النخبة الإدارية الصينية بهدف التحول الديني في نهاية المطاف. ومن ثمة فإن "المترجم لا يُسدي خدمة لأمته فحسب، وإنما حتى للأمم التي تتكلم اللغات التي ترجم أعمالها؛ فقد يحدث أن تتصنّم أمّة من الأمم رحique عمل من الأعمال وتستنفذ قواه، فلا يبقى مجال للتمتع بذلك العمل ولا للاستفادة منه والارتقاء من معينه. وهذا يهم الألمان الذين سرعان ما يلتهمون ما يعرض عليهم من أعمال، فيقضون عليها ويدليقونها شتى محن التقليد والمحاكاة. لذا فلا غرابة أن تبدو لهم إبداعاتهم الخاصة وقد انتعشت واسترجعت حياتها بفعل ترجمة جيّدة"¹²¹. فالترجمة تمنح النص حياة جديدة قد تفضل الأصل في ذيوعه وشهرته ويغدو الفرع أهم من الأصل "فترجمة التشيكى كونديرا هي التي جعلته أدبيا عالميا (...)" وكتب في لوموند سنة 1993 أنه قرر ألا يعتبر الصيغة الفرنسية لأعماله ترجمة، بل نصه هو، ويمكن نقل نصوصه عن الفرنسية أو التشيكية، ولو فضل الفرنسية. وهنا يصبح حديث "الأصل" كلاما فارغا. وكذلك بورخيس كان اكتشافا فرنسيّا، وكafka، التشيكى"¹²². بل إن اللغة بأكملها قد تكون نتاجا للترجمة والنقل، مثل ما قيل عن الألمانية الحديثة التي ظهرت للوجود مع ترجمة للإنجيل على يد مارتن لوثر. لذا فالترجمة ليست قناعة ذاتية أو اختيارا فرديا، بل هي حاجة حضارية في الأساس. يقول زوهار: "ليس في وسع أي ناظر في تاريخ أدب من الآداب أن يتتجنب الاعتراف بأن تأثير الترجمات حقيقة باللغة الأهمية، وكذلك دور هذه

121 - بنعبد العلي، 2005، 341

122 - بنعبد العلي، 2023، الترجمة والتأويل، محاضرة، 25 أبريل 2023، الهيئة الأكاديمية العليا للترجمة، أكاديمية المملكة المغربية، الرباط

الترجمات في السياق التزامني والتاريخي لبعض أنواع الأدب¹²³. لكن الذي يحدد فعل الترجمة هو الوضعيّة التاريخية. فالآداب الناشئة، مثل التشيكية والفنلندية خلال القرن 19، والعربية خلال عصر النهضة، تترجم أكثر في سياق الإحياء اللغوي، لاحتياجها لمواكبة التطورات العلمية والمعرفية، لكن حين تنتفي الحاجة الحضارية تقل الترجمة. ويقدم زوهار مثلاً من الصين التي لم تترجم خلال قرون إلا القليل من النصوص بحكم الانغلاق السياسي، لكن الآن هناك انفجار في الترجمات مرتبط بالانفتاح على الثقافات الغربية¹²⁴. والأمر نفسه يصدق على الإنجليزية، التي تناقصت الترجمة إليها مع اكتفائها الذاتي وتناقص الحاجة إلى الاطلاع على النصوص الأجنبية، وغداً مسار النقل أحادي الوجهة: "فعدّما تقوم الترجمة بنقل مفاهيم ثقافة من الثقافات وعلومها وتقيّياتها إلى ثقافة أخرى فإنّها تهيء الأرضية لتقاول الثقافة المتلقية بغيرها ومن ثم نموها وازدهارها وغناها. ولذلك يلاحظ الباحثون تناسبًا طرديًا بين التقدّم الحضاري وكمية الترجمة. فالبلدان التي ترجم أكثر هي التي تحقّق تقدّماً أكبر، وأنّ أغنى عصور الفكر هي تلك التي تزدهر فيها الترجمة وتوسّع. وأنّ اللغة العالمية هي ليست تلك اللغة التي يتكلّمها أكبر عدد من الناس، بل هي تلك اللغة التي تُرجم إليها أكبر عدد من الأعمال من مختلف اللغات"¹²⁵. فمن أهم المبادئ المؤسسة للوجود الإنساني أن الثقافات مقدرة لها أن تترجم إلى بعضها البعض، ومن خلال هذه العلاقة التواصلية يمكنها التعايش، بل التأثير المتبادل بينها، والتعارف المفضي إلى السلم والتسامح. إذن، لا يُنظر إلى الترجمة بين الثقافات على أنها ظاهرة عرضية أو حديثة أو خاصة بمجال ثقافي دون آخر، بل هي قديمة قدم الوجود الإنساني فيما اصطلاح عليه بما بعد بابل، وشاملة لكل

123 - سوزان باست 2009: الثقافة والترجمة، ترجمة: مرزاق بطاش، معالم، المجلد 2009، العدد 1 (30 سبتمبر / أيلول)، المجلس الأعلى للغة العربية. ص 19

124 - نفسه ص 20

125 - علي القاسمي، 2008، علم المصطلح؛ أسسه النظرية وتطبيقاته العملية، مكتبة لبنان ناشرون، ص 178

الثقافات وال مجالات . وهذا المبدأ يجعلنا نقتصر بأن التطور الحضاري مرتبط بالترجمة ، ولا يمكن أن يتحقق خارج هذه العلاقة الثقافية أو من خلال الانعزال داخل قوقة الذات . بهذا المعنى تغدو الترجمة عنوان التقدم والتطور ، لكنها هي عبتيه وليس ملازمة له . بمعنى أن النقل يكون مقدمة للتطور والانفتاح وليس ملتصقا به على الدوام . فهل هذا يعني أن الترجمة تفقد دورها بعد التطور ؟

يبدو أن قدر البشرية هو الترجمة ، لأن أدوارها تتغير حسب اللحظة التاريخية لكنها تظل تحفظ بالمدفون الرئيين : معرفة الآخر عن طريق نقل فكره إلينا ، وتسلیط الضوء على الآخر لتعرب عنه . ولا يتوقف عند التأثير في الثقافة المنقول إليها بل حتى في الثقافة المنقول منها ، خاصة حين فقدان النص الأصلي ، لتغدو حياته باللغة التي ترجم إليها . " فملحمة كلماش الشهيرة كُتبت أصلًا باللغة السومرية ، ولكن علماء الآثار لم يعثروا على نصوصها الأصلية حتى اليوم ، وإنما عثروا عليها مترجمة إلى اللغة الأكادية ، وبعض اللغات العروبية (السامية) القديمة ، ولهذا فإنها تُرجمت لنا عبر اللغة الأكادية " ¹²⁶ .

3.4 الترجمة الإبداعية والسلم الهوياتي : يقوم السلم الهوياتي على عنصرين أساسين : التعدد الداخلي والاعتراف بالاختلاف .

أ — يبدو التعدد الهوياتي أمراً واقعياً يصعب القفز عليه ، لكن توظيفه من طرف الكولونيالية منحه أدواراً في التجزئة الاجتماعية والسياسية . فالتجانس الهوياتي داخل الجماعة لا يتم دون معرفة أسباب الصراع واستيعاب علاقة ذلك بالمنظومة الفكرية الغربية . لذا نعتقد أن الترجمة الإبداعية يمكنها أن تؤسس لمنطق جديد من الاستغلال على الهويات المتعددة والتفاعل بين الجماعات دون توظيف للاختلافات . ففي الترجمة الكولونيالية يتم التركيز على التعدد الهوياتي من أجل إدامة الهيمنة وصناعة هويات بديلة ، لكن الترجمة الإبداعية أسلوب

126 - علي القاسمي ، 2008 ، دور الترجمة في الحوار الثقافي من إدراك الذات إلى معرفة الآخر ، العرب الأسبوعي ، السبت 2/8/2008م .

جديد في التعامل مع النصوص في جوهرها وحالتها دون تدخل هيمني، مما يعني الاعتراف بالاختلاف. فقد جعلتنا الهوية وخطابها القلق أمام حالات الصراع الدائم، يقول المسدي: "إن الصراع على الأرض والصراع على الثروة والصراع على الماء كلها مطاباً للصراع على السيادة وعلى المجد وكلها صراعات بادية للعيان، لكن الصراع الأدق والأعمق والأبقى وربما الأعنف إنما هو صراع الهويات"¹²⁷. وقد كانت الترجمة بوابة العنف الهوياتي من خلال ترسيمه واقعياً، ورسم الخرائط الإثنية، والتركيز على الاختلافات المجتمعية والثقافية من أجل تسييد الفكرة الغربية عن الذات والآخر. وأهم مداخل الإبداعية جعل الترجمة استئنافاً للقول في المعارف والمفاهيم واستعادة أدوارها الأصلية التي تجعلها قناة تواصل وتفاعل بين الثقافات، وألة من آليات السلم الاجتماعي: "ففي حالة السلم تسعى الجماعات لمعرفة الآخر ومقارنته بالذات، والإفادة مما لديه من معارف وعلوم وتقنيات، وهنا تقوم الترجمة بنقل المفاهيم والأفكار من ثقافة إلى أخرى، كما أسلفنا. وفي الحالة الثانية، حالة النزاع والصراع، تصاعد الحاجة إلى الحوار والتفاهم من أجل التعايش بسلام. ويكون الحوار، الذي هو نقىض الحرب، وسيلة الخروج من المأزق. والحوار بحاجة إلى الترجمة ليتم التواصل والتفاهم بين المعاورين الذين هم نتاج سياقات ثقافية واجتماعية وسياسية مختلفة"¹²⁸. فالتعامل مع النصوص والمفاهيم يتم من خلال منظار الذات وتاريخها وسياقاتها التداولية لتلائم خصوصيتها المعرفية والحضارية. وتجهذ في نقل ما ثبت لديها موافقته لضوابط المجال التداولي المنقول إليه متسلة في ذلك بأدوات التمييز والتقويم؛ لأن العبرة هنا ليست بالحكاية عن الغير، وإنما بتمكن الذات من الممارسة الفكرية كما يقترح المشروع الطاهوي. هنا تغدو الترجمة مجرد وسيلة وليس غاية في حد ذاتها. وهنا يمكن للمترجم التصرف بالتأويل

127 - عبد السلام المسدي 2013، اللغة والمروية في الوطن العربي، ط.3. بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات. ص.305.

128 - علي القاسمي، 2008

والتحويل والخذف والتغطية على النص المراد ترجمته، دون تقيد باعتبارات الترجمة الحرفية إذا كانت لا تلائم الأصول "العقدية والمعرفية واللغوية" في الثقافة الناقلة. فالغاية هي استئناف القول في المعرفة والمفاهيم وفق رؤية تحفظ للذات قدرتها الإبداعية وليس النقل فقط. لأن الترجمة بداية القول وليس غايتها.

بــ وبها أن الترجمة هي بوابة معرفة الآخر، سواء الواقعي أو المفترض، فإنها غدت ضرورة لبنائه من جديد. وهذا البناء لا يتم دون تحريرها من أصلها الإيديولوجي / الفكري، لتغدو أسلوباً في بناء الذات والتعارف الحضاري والهوياتي. فهي في حد ذاتها كشف عن الحاجة إلى الآخر وتبين ريكور "هجوم على تقدس اللغة الأم وهشاشتها الهوياتية"¹²⁹. فالترجمة إذن ليست مجرد فعل لغوی فقط إنما هي فعل ثقافي وحضاري يعمل على نقل المعرفة كما يعمل تماماً على إنقاذ الهوية الثقافية من التهميش والضياع. لذا فيمكنها أن تساهم في تطوير اللغة الأم واستمرار نموها وصقلها وتغذية جذورها، والحد من الاعتماد على اللغات الأجنبية كجسر للوصول إلى العلم والمعرفة¹³⁰. ونقداً للرؤى المركزية الغربية، فمن مظان الإبداعية استعادة الأصل الوجودي للترجمة: التواصل والتعارف والفهم المتداول بين الجماعات الإنسانية دون تمييز أو استعلاء. فالترجمة بوابة الكرامة الإنسانية التي تعزز المشترك ولا تطابق بين الهويات. "فعمل الترجمة هنا وهو يحتفل بالتنوع يحتفل به لا باعتباره عاملاً من عوامل التفتت والعزلة ولكن بوصفه شرطاً للتشارك والتضامن"¹³¹. أي باعتبارها أداة للاعتراف المتداول بين الشعوب والجماعات. يقول أنطوان برمان: "إن جوهر الترجمة هو الانفتاح وال الحوار والتلاحم والتفتح، وجودها رهين بتوافقها"¹³². وحتى يكون هذا التفاعل مع الآخر فاعلاً ومؤثراً ينبغي معرفة الذات كمعرفتنا لآخر، والترجمة تقوم بهذا الدور من خلال تعريفنا بما يكون عند الطرفين، وهي

129 - بول ريكور، عن الترجمة، ترجمة حسين خوري، ط 1، منشورات الاختلاف، ص 16

130 - العباس، سليمان، 2000، الترجمة نافذتنا على العالم، جامعة الزرقاء الأهلية، الأردن، ص: 5

131 - يحيى رمضان، 2020، ص 15

تعمل على أن ندرك ذاتنا عن طريق إدراك الآخر لنا، ونقل تصورات الآخر عنا إلينا. "وهذا تكون "الترجمة"- بصرف النظر عن تصورنا التفصيلي لها- نشاطاً إنسانياًً" ^{أمثالياً} يحيل جوهره إلى تجربة التواصل بين الأمم والشعوب، مما يسمح بالقول عن الترجمة: إنها عنصر مقوم في التجربة الإنسانية لا يتطرق الشك إلى قيمته حتى لو افترضنا أن المستقبل أو الآخر يتقن اللغة التي كتب بها النص؛ لأن المستقبل سيظل في تعامله مع النص الذي ينتمي إلى ثقافة مختلفة: قارئاً أو مؤولاً أو مترجماً، حتى ولوقرأ النص بلغته الأصلية"¹³³. فجوهر الترجمة الاختلاف وتجسيم الهويات، لأنها في جوهرها تولدت عن الاختلاف، وفي الوقت نفسه ضمانة للحفاظ عليه. فالاختلاف هو عامل لإغناء الثقافات وتطورها وإخراجها من حالة الجمود والانغلاق. لكن الترجمة الإبداعية لا تقضي على الاختلاف، ولا تلغيه، بل هي تربط بين المختلفين فتحول القرب والبعد إلى مجرد مسافات¹³⁴. فالاعتراف الضمني بوجود الآخر دليل على قدرتنا على بناء فضاء مشترك للتواصل والسلم بين الهويات المتأخرة. وهذا هو دور الترجمة في صورتها الإبداعية "إذ لم يعد هناك وجود للكتابة أحادية اللغة، فتحن ملزمون بأخذ خيالات اللغات الأخرى في الاعتبار".¹³⁵.

خاتمة:

في الختام، إذا كان التناول اللغوي للترجمة قد ركز على الجانب الآلي التقني للنقل بين اللغات المختلفة، فإن هذا لم يخف البعد الإيديولوجي الذي جعل منها أداة للتوجيه والتحريف والتلوиш خاصة من طرف المركبة الغربية وتمثلها الكولونيالي. لذا نعتقد أن الأدوار التي منحت للترجمة من طرف الغرب

133 - يوسف سلامة، 1999، ما الترجمة؟ الترجمة بين النقل والتأويل : في الع리فات والعناصر، مجلة الآداب، ع47، ص 45

134 - عبد السلام بنتعبد العلي، 2020، الترجمة جسر البناء المؤلف الإنساني، مجلة التفاهم، المجلد 18، العدد 67 (31 يناير / كانون الثاني)، سلطنة عمان، ص 348

135 - Glissant, É(1996), *Introduction à une poétique du divers*, Paris, Gallimard, P 91

في صورته الكولونيالية، كما أبرزت الدراسات بعد الكولونيالية، أو الحداثية، كما أظهرت إيستمولوجيا الجنوب، قد حضرتها في صناعة الهويات البديلة وتشريع الاحتراط بين الإثنيات والطوائف، من أجل شرعة الاستعمار وتأييده. لذا قامت الترجمة في صورتها الإبداعية، وفي بناء السلم الهوياتي، على تحرير المعرفة من هيمنة وسطوة المركزية الغربية، واستعادة أصل فعل الترجمة المتمثل في التواصل والتعارف وصياغة نموذج تعددي للثقافة يُنسّب المعرفة. ومن خلال هذا التصور النظري الذي متحناً أنسه من نقاشات طه عبد الرحمن، معضدة بآراء العديد من الباحثين المتمرين إلى أدبيات الدراسات الثقافية، نعتقد بأننا استطعنا أن نقدم نموذجاً تفسيرياً يمكننا من المساهمة في مواجهة حالات الاحتراط القائمة على أساس الهوية، وجعل الترجمة جزءاً من الحل الأمثل الذي يبحث عن المشترك الإنساني. فإذا كان المشترك بين الاصطلاحين، الترجمة والهوية، أنها كانت على الدوام محوريتان من أدوات هيمنة الكولونيالية، فإن الرابط الإبداعي والتواصلي بينهما سيعيدهما إلى طبيعتهما الحضارية الأولى: التعارف والحوار بين الثقافات والحضارات، والتفاعل بين الجماعات الإنسانية.

المصادر والمراجع:

• العربية

- الإبراهيمي، خولة طالب (2007)، **الجزائريون والمسألة اللغوية**، ترجمة: محمد يحياتن، دار الحكمة، الجزائر
- أبو القاسم، سعد الله (1996)، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت
- أسد، طلال (2021)، **ترجمات علمانية: الأمة - الدولة والذات الحديثة والعقل**، ترجمة: حجاج أبو جبر، الشبكة العربية للأبحاث والنشر
- أسد، طلال (2017)، **جي نالوجيا الدين، الضبط وأسباب القوة في المسيحية والإسلام**. ترجمة وتحقيق محمد عصفور، مشير عون، دار المدار الإسلامي، بنغازي، ليبيا
- أبيير، أمبارو أورتادو (2007)، **الترجمة ونظرياتها مدخل إلى علم الترجمة**، ترجمة: علي إبراهيم المنوفي، ط1، المركز القومي للترجمة، القاهرة
- الأوراغي، محمد (2002)، **العدد اللغوي وانعكاساته على النسيج الاجتماعي**، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، سلسلة بحوث ودراسات؛ 36، الرباط
- الأوراغي، محمد (2001)، **الوسائل اللغوية**، ج 2 : **اللسانيات النسبية والأنحاء النمطية**، ط1، دار الأمان، الرباط
- إيكو، أومبرتو (2012)، **أن نقول الشيء نفسه تقريبا**، ترجمة أحمد الصمعي، ط1، المنظمة العربية للترجمة، بيروت
- باخشوان، سلمى محمد عبد الله (2022)، **الترجمة والاختلاف الثقافي في الأدبيات العربية**، مجلة تحسير، المجلد الرابع، العدد 2 ،مركز ابن خلدون للعلوم الإنسانية والاجتماعية، دار نشر جامعة قطر

باسنت، سوزان(2009)، *الثقافة والترجمة*، ترجمة: مرزاق بطاش، معالم، المجلد، العدد 1 (30 سبتمبر / أيلول 2009)، المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر

البحراوي، حسن(2015)، *مأوى الغريب*، دراسات في شعرية الترجمة، ط1، المركز القومي للترجمة، القاهرة

برمان، أنطوان (2010)، *الترجمة والحرف أو مقام البعد*، ترجمة وتقديم عز الدين الخطابي، مراجعة د. جورج كتورة، المنظمة العربية للترجمة، بيروت

بلحبيب، رشيد(2012)، *الهويات اللغوية في المغرب من التعايش إلى التصادم*، مؤتمر اللغة والهوية في الوطن العربي، ط1، المركز العربي للأبحاث ودراسات السياسات، قطر

بلغروز، عبد الرزاق(2009)، *تحولات الفكر الفلسفية المعاصر* أسئلة المفهوم والمعنى والتواصل، الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف

بلقندوز، محمد ياسين(2015)، *النظرية ما بعد الكولونيالية في الأدب وعلاقتها بالترجمة النظرية ما بعد الكولونيالية*، دراسة تحليلية ونقدية، لكتاب الترجمة والإمبراطورية، مذكرة لنيل شهادة ماجستير في الترجمة، معهد الترجمة، جامعة الجزائر 2 أبو القاسم سعد الله، الجزائر

بنعبد العالى، عبد السلام(2020)، *الترجمة جسرا لبناء المؤتلف الإنساني*، مجلة التفاهم، المجلد 18، العدد 67 (31 يناير / كانون الثاني 2020)

بنعبد العالى، عبد السلام(2005)، *ضد الراهن*، دار توبيقال للنشر، الدار البيضاء

بنعبد العالى، عبد السلام(2020)، *الترجمة جسرا لبناء المؤتلف الإنساني*، مجلة التفاهم، المجلد 18، العدد 67 (31 يناير / كانون الثاني)، سلطنة عمان

- بنعبد العلي، (2023)، الترجمة والتأويل، معاصرة، 25 أبريل 2023، الهيئة الأكاديمية العليا للترجمة، أكاديمية المملكة المغربية، الرباط
- بنيرد، حاج (2020)، جهود المستشرقين الفرنسيين في دراسة اللهجات الجزائرية - مقاربة إثنوغرافية، دراسات استشرافية، العدد، 22 (30 إبريل / نيسان 2020)، المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية، العراق
- بوعلي، فؤاد (2013)، الترجمة عند طه عبد الرحمن: محاولة في التوصيف، في كتاب: فكر الفيلسوف المغربي طه عبد الرحمن (كتاب جماعي) منشورات مطبعة المعارف البيضاء
- بوعلي، فؤاد (2015)، الإبداعات المغربية باللغات الأجنبية بين سلطة اللغة وسلطة الهوية: قراءة راتبية، مجلة إسلامية المعرفة، المعهد العالمي للفكر الإسلامي مجلد 20، عدد 80
- بوعلي، فؤاد وآخرون (2022)، تدبير السلم الهموي في عالم المسلمين، ط1، مركز الحكماء لبحوث السلام، الرباط، المغرب
- بوعيطة، سعيد (2022)، دور الترجمة والتعريب في التفاعل الثقافي والحضاري، مجلة رواق ميسلون للدراسات، مؤسسة ميسلون للثقافة والترجمة والنشر، ع5، باريس
- الجابري، محمد عابد (2023)، تكوين العقل العربي، ط16، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت،
- جيل، دانييل (2009)، الترجمة، فهمها وتعلمها، ترجمة محمد أحمد طجو، ط1، جامعة الملك سعود، المملكة العربية السعودية
- دریدا، جاك (2007)، أحادية الآخر اللغوية، ترجمة: عمر مهيل، الدار العربية للعلوم ناشرون ومنشورات الاختلاف
- ديب، ثائر (2014)، الترجمة عبر تباينات القوة: اللغة والهوية في عالم الترجمة اللامتكافية، في الترجمة وإشكالات الماتفاق، ط 1، منتدى العلاقات الدولية والعربية، الدوحة.

رحيمي، محمد (يوليو 2021) الترجمة والتصرف (دراسة في أيديولوجية الترجمة)، مجلة الأداب واللغات، المجلد 9، العدد 1

رمضان، يحيى (2020)، الخيار النقض كولونيالي من فك الارتباط إلى إعادة الوجود، ط1، شمس بريت، سلا، المغرب

رمضان، يحيى، وآخرون (2022)، الخيار النقض: كولونيالي؛ من الحداثة إلى الحداثة العابرة ومن الأحادية الكونية إلى تعدد العوالم والثقافات (ترجمات)، دار ركاز للنشر والتوزيع،الأردن.

روبنسون، دوجلاس (2006)، الترجمة والإمبراطورية، ترجمة: ثائر ديب، ط1، المركز القومي للترجمة، القاهرة.

روجر، بيل (2021)، الترجمة وعملياتها النظرية والتطبيق، ترجمة محمد حدي، مكتبة العبيكان، الرياض.

ريكور، بول (2008)، عن الترجمة، ترجمة حسين خري، ط 1، منشورات الاختلاف، الرباط.

سعيد، إدوارد (2006)، الاستشراق، ترجمة محمد عناني، دار رؤية، القاهرة.

سلامة، يوسف (1999)، ما الترجمة؟ : الترجمة بين النقل والتأويل : في التعريفات والعناصر، مجلة الآداب، ع47، بيروت.

شتاينر، جورج (2021)، حاولت أن أكون ساعي بريد جيد، حوار، ترجمة الحسن مصباح، مركز معارف للدراسات والأبحاث.

شهيد، فريدة (2014)، تقرير المقررة الخاصة في مجال الحقوق الثقافية، الدورة الثامنة والعشرون مجلس حقوق الإنسان البند 3 من جدول الأعمال تعزيز وحماية جميع حقوق الإنسان، المدنية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية، 24 ديسمبر 2014

الطوير، محمد احمد (1997)، تاريخ حركات التحرر من الاستعمار في العالم خلال العصر الحديث، منشورات تأثيث، الرباط

العباس، سليمان (2000)، الترجمة نافذتنا على العالم، جامعة الزرقاء الأهلية، الأردن

عبد الرحمن، طه(1995) فقه الفلسفة: الفلسفة والترجمة، ط1، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء

عبد الرحمن، طه(1995)، فقه الفلسفة، القول الفلسفى كتاب المفهوم والتأصيل، ط1 المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء

عبد الرحمن، طه (2013)، الحوار أفقاً للفكر، ط1، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت،

عمراد، عبد الغني(2017)، سوسيولوجيا الهوية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت

غرانغيوم، جلبير(1995) اللغة والسلطة والمجتمع في المغرب العربي، ترجمة: محمد أسليم، الفارابي للنشر، مكناس

غيدير، ماشيو. (2011)، مدخل إلى علم الترجمة، ترجمة أ.د. أحمد طجو، النشر العلمي والمطبع، الرياض

غيتنسلر، إدوين(2009)، في نظرية الترجمة: اتجاهات الترجمة المعاصرة، ترجمة سعد عبد العزيز مصلوح، المنظمة العربية للترجمة، بيروت

فروجي، صورية مولوجي (2015)، عن الأثر العلمي للمתרגمين العسكريين في البلدان المغاربية المستعمرة: الجزائر نموذجاً،

<http://journals.openedition.org/insaniyat/>

فليبيسون، روبرت(2007)، الهيئة اللغوية، ترجمة سعد بن هادي الحشاش، ط1 جامعة الملك سعود للنشر العلمي، الرياض

- القاسمي، علي (2010)، الترجمة في الوطن العربي (المغرب العربي نموذجاً)، دراسات في النظرية والتطبيق، مكتبة لبنان ناشرون
- القاسمي، علي (2008)، علم المصطلح؛ أساسه النظرية وتطبيقاته العملية، مكتبة لبنان نашرون، بيروت
- القاسمي، علي (2008)، دور الترجمة في الحوار الثقافي من إدراك الذات إلى معرفة الآخر، العرب الأسبوعي، 2008/8/2
- كارتر، ديفيد (2010)، النظرية الأدبية، ترجمة: د. باسل المسالمة، ط1، دار التكوين، دمشق، سوريا
- كالفى، لويس جان (2008)، حرب اللغات والسياسات اللغوية، ترجمة حسن حمزة، ط1، المنظمة العربية للترجمة، بيروت
- كيخانو، أنيبال (2022)، ماذا عن العرق؟، ترجمة: يحيى رمضان، في : يحيى رمضان وأخرون، الخيار النقض كولونيالي من فك الارتباط إلى إعادة الوجود، دار ركاز للنشر والتوزيع، الأردن
- المسيدي، عبد السلام (2013)، اللغة والهوية في الوطن العربي، ط3، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الدوحة
- معلوم، أمين (1999) الهويات القاتلة: قراءات في الانتهاء والعنولة، ترجمة نبيل محسن. دار ورد للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق
- منيلو، والتر (2022)، الخيار النقض - كولونيالي ومعنى الهوية في السياسة، ترجمة : مليكة خندكي، في : الخيار النقض : كولونيالي ؛ من الحداثة إلى الحداثة العابرة ومن الأحادية الكونية إلى تعدد العالم والثقافات (ترجمات)، دار ركاز للنشر والتوزيع، الأردن
- نورد، كريستيان (2015)، الترجمة بوصفها نشاطا هادفا : مداخل نظرية مشروحة، ترجمة وتقديم : أحمد علي، مراجعة: محمد عنانى، ط1، المركز القومى للترجمة، القاهرة

نيرانجانا، تيجاسويني (2018)، حوارات في الترجمة : حوار مع تيجاسويني
 نيرانجانا، تيجاسويني نيرانجانا: من الإنكليزية إلى الكانادا ومن الكانادا
 إلى الإنكليزية : طريق تيجاسويني نيرانجانا المصور إلى الترجمة، حاورتها:
 تريشا غوبتا، ترجمة أ.د. كاظم خلف العلي 22-03-2019

<http://www.alnoor.se/article.asp?id=350886>

هيدجر، مارتن (2003)، كتابات أساسية، ج 2، ترجمة إسماعيل المصدق،
 ط 1، المجلس الأعلى للثقافة القاهرة

• الأجنبية

Albir, Amparo Hurtado (1990), **La notion de fidélité en traduction;**
 Didier Eruditions, Paris

Arduini ; Stefano (2016) ; **TRADUCCIÓN E IDEOLOGÍA;**
ACTIO NOVA: REVISTA DE TEORÍA DE LA LITERATURA Y
 LITERATURA COMPARADA; Università degli Studi di Urbino,
 Italia

Asad, Talal(2009) ; **Is Critique Secular? Blasphemy, Injury, and Free Speech** ; Distributed by University of California Press Berkeley, Los Angeles, London

BASSNETT, Susan (1993). **Comparative Literature: A Critical Introduction**, Oxford y Cambridge, Blackwell

Benhamou Françoise, Joëlle Farchy(2014). **Les fondements théoriques du droit d'auteur** DANS : Droit d'auteur et copyright ; Collection : Repères Éditeur : La Découverte

BENJAMIN, Walter. 1984 /1923; **La tasca del traductor**, en Art i Literatura, Antoni Pous (tr.), Vic, Eumo y Edipoies

BERMAN. Antoine (1984). **L'épreuve de l'étranger**. Paris : Gallimard

BERMAN. Antoine(1999), **la traduction et la lettre ou l'auberge du lointain**. Seuil. Paris.

Calvet, L.-J(2007); **La traduction au filtre des traductions**, Hermès; no 49.,

Cronin; Michael(2006); **Translation and Identity** ;Library of Congress Cataloging in Publication

De Sousa Santos; Boaventura(2003), **LA CAÍDA DEL ANGELUS NOVUS: ENSAYOS PARA UNA NUEVA TEORÍA SOCIAL Y UNA NUEVA PRÁCTICA POLÍTICA** , COLECCIÓN EN CLAVE DE SUR Editor: César A. Rodríguez ; Bogotá, Colombia

De Sousa Santos; Boaventura(2011), **Epistemologies du Sud** ,tr de l'anglais par: Magali Watteau, Etudes rurales ;n°187.

Fawcett, Peter (1998); **Ideology and Translation**, en Mona Baker (ed.): Routledge Encyclopedia of Translation Studies, London - New York, Routledge

Glissant, É.(1996), **Introduction à une poétique du divers**, Paris, Gallimard

Halpern, Catherine (2004). **Faut-il en finir avec l'identité?**, in Sciences Humaines. No 151, Auxerre, France.

HATIM, B. et MASON, I.(1997); **Translator as Communicator**. Londres et New York : Routledge

Jakobson ; Roman (1959/2000); **On Linguistic Aspects of Translation** ; Havard studies in comparative 2 ; literature ; vol 23 ; no 1.

Joshua M. Price(2015) ; **Whose America? Decolonial Translation by Frederick Douglass and Caetano Veloso** ; Territoires, histoires, mémoire; La traduction littéraire et le Canada; Volume 28, numéro 1-2

Kristeva; Julia. (1988) **Etrangers à nous même**, éd. Fayard,

Le Blanc; Charles (2009), **Le complexe d'Hermès**. Regards philosophiques sur la traduction

Leclerc-Olive, M(2010); **Crise financière et espace public**; traduire le langage de l'aléatoire , Hermès no 56

Lefever. Andre, (1985). **Why Waste Our Time on Rewrites? The Trouble with Interpretation and the Role of Rewriting in an Alternative Paradigm**, The Manipulation of Literature, Studies in Literary Translation, London, Croom Helm

Lefever. Andre, (1992), **Translation, Rewriting, and the Manipulation of Literary Fame**, London: Routledge ;Les Presses de l'Université d'Ottawa, coll. « Regards sur la traduction », Ottawa

MUNDAY.J(2009). **The Routledge Companion to Translation Studies.** London

Nadine Ly (1987); **Introduction de "LA TRADUCTION (Actes du XXIIIe Congrès de la Société des Hispanistes français (Caen,13-15 mars 1987)"** Published by CENTRE DE RECHERCHES EN LANGUES

Prado, D(2010). **La traduction automatisée : le cas des langues romanes**, Hermès no 56.

Rougé; Dominique(2015); **Introduction à l'œuvre théorique d'Antoine Berman**, traductologue français Synergies Pologne n° 12 -

Steiner ; George (1978) : **Après Babel une poétique du dire et de la traduction**, Trad. de l'anglais par Lucienne Lotringer; Albin Michel Voloshinov, Valentin N.(1976): **Marxismo e filosofia del linguaggio**, Bari, Dedalo.

